6me Année, No . 240

Lundi - 7 - 2 - 1938

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

المـــدد ٢٤٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ٦ ذى الحجة سنة ١٣٥٦ — ٧ فبراير سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

المـــــرأة والأدب

قال لى صديق أديب :

إن من يقرأ الرسالة فى مصر من الأمصار النائية ، أو فى عصر من الاعصار الآتية ، يحسبها تصدر أو كانت تصدر فى بلد ليس فيه نساء . والرسالة كما نعتقد تسجل ظواهر النهضة المصرية ، وتصور مظاهر العبقرية العربية ؛ فهل خلوها من أثر المرأة معناه أن المرأة لا تزال بمعزل عن نهضة الفكر فى مصر ، وحركة الأدب في الشرق ؟

وهـذا السؤال نفسه ألقاه علىّ أكثر من تحدثوا إلىّ فى الرسالة أو فى المرأة أو فى الأدب . والجواب عنه ميسور على من عرف كيف نربى البنت ونثقف الأم ونؤلف الأسرة . فنصفنا الجميل الشاعر كما يعبرون اليوم لا تزال كثرته الفاحشة على جهالة الأمية وسذاجة الفطرة . أما قِلَّته الضئيلة فبين طبقة علمتها المدارس المصرية تعليماً فجًّا لا يعهد للعقل طرائق المعرفة ، ولا يكشف للنفس آفاق الحياة ، فعلمها محدود بالتعليم الأولى أو التمريض العملى ، وأدبها واقف عنـد قراءة المجلة الخفيفة وكتابة الرسالة العادية ؛ وبين طبقة ثقفتها المدارس الأجنبية فهى غزيرة الأدب صحيحة الفكر سليمة الذوق لطيفة الحديث ، ولكنها لا تعلم من

الفهـــرس

لغتها وأدبها غير القشور ، ولا تعرف عن دينها وتاريخها غير الشُّبَه ، ولا تجد في مكتبتها مؤلفاً شرقياً ، ولا ترى على مكتبها ريشة عربية . وقد كتبت إليّ آنسة من هذه الطبقة كتاباً بالفرنسية ، فلمتها على أن تُقحم هذا اللسان الغريب بين لسانين عربيين ، فردت عليّ بذلك اللسان نفسه تقول ما ترجمته :

« لو كنت كتبت إليك بعربيتي لحسبتني طفلة تجمجم بالكلام ولا تبين ؛ ويكون من وراء ذلك أنك لا تفهمني ولا تفهم عني . فكتبت إليك بالفرنسية لأن الإنسان يميل بطبعه إلى جهة القدرة لا إلى جهة العجز ، ويؤثر بغريزته جانب الكمال على جانب النقص . ولئن تعرضت بذلك إلى غضبك ، لقد نجوت ولله الحمد من سخرك ؛ وسخطك عليّ أحب إليّ كرامتي من استخفافك بي » ،

فالطبقة الواقفة على الأعراف بين الجهل والعلم لا تستطيع بنصيبها الأخس من الثقافة أن تسبُر عقل الرجل ولا أن تصور قلب المرأة ؛ فمثلها مثل الجمهور الأوسط من سواد الشعب يعلو على العامة بمتاع جسمه ، ويسفل عن الخاصة بغباء ذهنه . والطبقة القائمة على البرزخ بين الشرق والغرب لا تستطيع كذلك أن تساهم في الأدب العربي بشعاع من الروح ولا بنتاج من العقل ، لأنها مصرية القلب أجنبية اللسان ، تغرِّبُ بهذا وتُشرِّق بذاك ، وتنام هنا وتحلم هناك ، وتأكل وتشرب فيظهر أثرها في مصر ، ثم تقرأ وتكتب فيظهر أثرها في الخارج . فسيداتنا العبقريات الحسان : سيزا نبراوي ، ونعمت راشد ، وقوت القلوب ، وإيمي خير ، لا يمكن أن يتصل تفكيرهن بالأدب العربي مادمن يجهلن لغة القرآن ، ويحتجن في إفهام قومهن إلى ترجمان

على أن في هاتين الطبقتين شواذ لا يستطعن لقلتهن أن يكنّ طبقة ثالثة . وهل تستطيع أن تعد في أقطار العربية كلها أكثر من الدكتورة أسماء فهمي ، والماجستيرة سهير القلماوي ، والفضليات الكواتب ابنة الشاطئ وجميلة العلايلي وفلك طرزي ووداد سكاكيني ؟

هؤلاء على تفاوت بينهن يُجدن التفكير والتعبير ، ويعطرن من حين إلى حين وجوه الصحف وصدور المجالس بأنفاسهن العبقة وأحلامهن الجميلة ؛ ولكن فحولة الأدب في أنوثة العاطفة لم نجدها في امرأة بعد « باحثة البادية » و « مي » ؛ وباحثة البادية في ظلال الخلد ، ومي وا أسفاه على سرير المرض !

* * *

تلك حال المرأة مع الأدب . وهي حال اقتضتها طريقة التعليم وطبيعة المجتمع وحداثة النهضة . فمن الطبيعي ألا يجد فيها الأدب رفداً من إنتاج ، ولا الأديب مدداً من وحي . ومن البديهي ألا تحس أنت في الرسالة وفي سائر المجلات سحر المرأة فتشكو الاعتلال والنقص ، وألا يجد صديقنا الحكيم في المجالس والأندية عطر المرأة فيشكو الجفاء والجدب . وما دامت المرأة غائبة عن الأدب وعن المجتمع فهيهات أن يبرءا من علل الجفاف والإسفاف والسآمة والفوضى

يريد صديقنا توفيق الحكيم أن يجرب في برجه العاجي أثر المرأة الفاتنة في مجلس جماعة من الأدباء سماهم . ولقد كتبت في العدد التاسع من (الرسالة) ما يصح أن يكون نتيجة لهذه التجربة قلت : « لاحظ مجلساً من مجالسنا اجتمعت فيه الرجال شباباً وشيباً فماذا تجد ؟ تجد الحركات العنيفة والأصوات الناشزة والمناقشات الفجّة والأحاديث الجريئة والكلمات المندية والذوق العامي والإحساس البطيء ؛ ثم لاحظ هذا المجلس نفسه وقد حضرته امرأة ، تجد الحركات تتزن والأصوات ترق والمناقشات تُنتج والأحاديث تحتشم والكلمات تُنتقى والذوق يسمو والإحساس يَدِق ؛ ذلك لأن الرجل حريص بطبعه على أن يجمُل سَمْته في عين المرأة ، ويحسن صوته في أذن المرأة ، ويسوغ رأيه في عقل المرأة ؛ والأخلاق المكتسبة تبتدئ بالتطبع وتنتهي إلى الطبع » فمتى يُتاح للمرأة يا تُرى أن تُدرك خطرها في غير الحب ، وأثرها في خارج البيت ، فتؤدي أمانتها على الوجه الأكمل ، وتُبلِّغ رسالتها على الطريق الأسدّ ؟

احمد حسن الزيات

في معرض الآراء

للأستاذ عباس محمود العقاد

كتب الأستاذ أديب عباسي في بعض الأعداد القريبة من الرسالة مقالاً سأل في عنوانه: «هل انتهت السياحات والكشوف الظاهرة في القرن السابع عشر أو بعده؟» ثم عاد سائلاً فيه: «أصحيح أن الكشوف الظاهرة أو الكشوف الجغرافية انتهت في القرن السابع عشر أو حواليه، ومن ثم بدأت الكشوف الباطنة للنفس كنتيجة لانصراف الذهن البشري عن الدراسات والسياحات الظاهرة إلى الدراسات والسياحات الباطنة؟! إنني أشك في صحة هذا الزعم، بل أكاد أنفيه قاطعاً»

ثم استطرد في جوابه قائلاً: «ليست السياحات الظاهرة وقفاً على الضرب في مجاهل الأرض واكتشاف كل رجا من أرجائها؛ وليس الاستشراف للمجهول في خارج حدود النفس الإنسانية قاصراً على الحدود الجغرافية لقارات الكرة الأرضية؛ فهناك السماء بعوالمها الشاسعة، وأكوانها المبثوثة في رحاب الكون، وأسرارها المحيرة؛ وثمت الذرة بصفاتها العجيبة وسلوكها الغريب وأسرارها الدقيقة؛ وهناك أمواج الأثير من ضوء وحرارة وكهرباء وأشعة كونية...» إلى أن قال:

«من يستطيع أن يقول: إن الكشوف الظاهرة التي تمت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وبداءة هذا القرن في عوالم الطبيعة والحياة تقل روعة وأسراً للخيال وشداً للإنسان عن أروع المغامرات الجغرافية التي تمت في القرن السابع عشر أو بعده؟ ثم هذه الكشوف الجغرافية ذاتها هل انتهت حقاً في القرن السابع عشر؟ أين مغامرات سكوت وشاكلتون وبيرو وغيرهم....»

***

ومن طرائف المناقشات أن تأتي هذه المناقشة من الأستاذ أديب عباسي تعقيباً لما أسلفناه في مقال «الحدود الحاسمة» الذي قلنا فيه إننا قد نستغني في الحدود والتعريفات عن الإحصاء والاستقصاء لما هو معلوم غني عن البيانات من ضرورات الاستثناء في كل قاعدة. فاذا قال الإنسان إن النهار مضيء وإن الليل مظلم فليس من الواجب بعد ذلك أن يحصى أيام الغيم ولا الأغوار المحجوبة التي تظلم بالليل والنهار

فقد حدثت كشوف جغرافية في القرن التاسع عشر والقرن العشرين، ولكنها كلها لا تخرج عن «التتمات» التي تأتي بعد الفراغ من الأسس والأركان واستقرار البناء على نظامه الأخير. وكذلك تقول مثلاً إن القرن التاسع عشر كان قرن الانقلاب الصناعي ولا تمنع بذلك استمرار الاختراع في عالم الصناعة إلى القرن العشرين بل إلى هذه الساعة

فالأرض نفسها كانت مجهولة قبل الكشوف التي بلغت أوجها في القرن السابع عشر وما حواليه

والبنية الإنسانية نفسها كانت مجهولة قبل تلك الكشوف، فكان من الناس من ينازع في شكل الأرض وفي القرار الذي هي قائمة عليه؛ وكان منهم من يزعم أن الإنسان في بعض الأصقاع يشبه الكلاب أو يشبه النيلان، ويجري التناسل بينه وبين فصائل شتى من الحيوان

فلما انتهت كشوف القرن السابع عشر انتهى الخلاف في أمر الأشكال والظواهر، وانفتح المجال للبحث في الحقائق والبواطن، أو لمعرفة الإنسان نفساً بعد أن عرفناه تركيباً ووضعناه في موضعه من عالم الأحياء الظاهرين

ولقد ذكر الأستاذ «أديب» كشوف الكواكب وكشوف الذرة وأمواج الأثير والأشعة الكونية، إلى أمثال هذه الكشوف العلمية التي حدثت بعد القرن السابع عشر ولا تزال تحدث في هذه الأيام

ولكن ما شأن هذه الكشوف وما نحن فيه؟ وأين هي من «الحاسة الاجتماعية» التي تتعلق بها القصص وأبطال الرواية وأبطال السياحات؟ أو التي تتعلق بها الديمقراطية وما لها من الأثر في وصف المجتمع وتحليل أفراده وطبقاته؟

فالسائح الذي يعود من الأقطار الأسيوية وقد روى لأبناء وطنه أنباء البذخ والفخامة ونوادر الذهب والفضة والجواهر والنفائس في أيدي الناس؛ يلهب أشواقهم ويعلق آمالهم وأحلامهم وأوهامهم أضعاف أضعاف ما يفعله كشف الذرة وما إليه من كشوف لا تتصل «بالحاسة الاجتماعية» إلا من بعيد

وألف كشف من كشوف «الذرة» لا يغير وصف الأبطال

فى القصص والروايات إلا أن يسل إلى اختراع طيارات أوسفن أو أسلحة أو ما شابه هذا من أمور تتصل «بالحاسة الاجتماعية» على نحو من الأنحاء

فالمعول فيما كنا نبحثه من اختلاف وصف الأبطال في القصص بين العصور القديمة والعصور الحديثة إنما هو على شعور الناس بها، أو تعلق «الحاسة الاجتماعية» بموضوعها، وليس المعول على حدوثها فى عالم الواقع أو تسجيلها في دواوين العلماء

و «الذرة» بعد لا يكشفها إلا عالم أومشتغل بعلم وصناعة؛ أما البقاع فيكشفها كل من شاء الرحلة من المغامرين، ويعنى بها كل من قعد وراءهم من المتخلفين، ويشتغل بها من يراقب الجماهير ويدرس النفوس ويسجل أطوار الشعوب والأفراد. فهى لا تنعزل عن الحياة الاجتماعية ثم الحياة النفسية التى هى موضوع الروايات ومحور وصف الأبطال، وليست كذلك كشوف الكواكب أو كشوف الذرات

ولعل فيما تقدم توضيح ما التبس على الأستاذ «أديب» فهو غنى عن المزيد من التوضيح

***

وقد كتب إلينا الأستاذ عبد الحميد العبادى يسأل عن كتاب الدكتور ويلكوكس واسمه باللغة الإنجليزية، فذكرنا هذا الإسم فى العدد الـ (٢٣٦) من الرسالة، ووعدنا بالإجابة عما استوضحه الأستاذ من أثر الطريقة الزراعية الحديثة فى أحوال العالم بأسره، وأنه ربما فاق فى اتساعه وبعد مداه أثر الانقلاب الصناعى منذ قرن من الزمان

أما شرح الطريقة الزراعية العلمية التى تكفل لكل قطر من الأقطار أن يعيش على موارده الداخلية فليست الرسالة محله، ولسنا نحن أصحاب الاختصاص فيه

وأما الأثر الاجتماعى فيستطاع العلم به إذا عرفنا ما كان من أثر الانقلاب الصناعى فى القرن الماضى، وعرفنا البواعث التى أفضت إلى ذلك الأثر ولا تزال تفضى إليه

إن الانقلاب الصناعى قد أحوج الدول إلى مستعمرات لجلب «الخامات» وبيع المصنوعات وتسخير الأيدى العاملة بأبخس الأجور

وإن الانقلاب الصناعى قد أخرج للأمم طبقات العمال وأثار بينهم وبين أصحاب الأموال ذلك الصراع الذى قوض ما قوض من دول، وأقام ما أقام من مذاهب فى السياسة والدين والأخلاق

وإن الانقلاب الصناعى قد أذكى ضرام التنافس بين الحكومات، وأنشب ما أنشب من حروب وثورات

فكل هذا يتغير لا محالة إذا استغنت كل أمة من الخامات واستغنت عن الأسواق

كل هذا يتغير إذا نجحت طريقة المجددين فى الزراعة العلمية واستطاعت الأمم أن تعيش على مواردها الداخلية كما يقول الدكتور ويلكوكس فى كتابه الذى أشرنا إليه

كل هذا يتغير، ويتغير معه تقسيم المجتمع وتقسيم الثروة وتقسيم عناصر الحكومة وتقسيم عوامل السياسة وما يتبعها من أهبة الحرب وأهبة الفتح وأهبة «التحالف» من جهة، والتمادى والتباغض من جهة أخرى

لا خامات فى الخارج فلا مستعمرات، ولا أسواق فى الخارج فلا منافسات، ولا احتكار فلا تكديس للثروة ولا نزاع بين العاملين وأصحاب رؤوس الأموال، ولا تسليح من ثم ولا توجيه للمصانع إلى غير المفيد من صناعات العمار والإنشاء دون التدمير والتقويض. وإذا احتاجت الأمم إلى بعض الخامات أو بعض الأسواق، فإنما يكون ذلك فى أمان واستقرار وتعاون واشتراك على النحو الذى يجري به البيع والشراء بين الأفراد، أو على النحو الذى يجرى به التبادل بين جماعات التعاون ولا سيما فى بلاد الشمال ونعنى بها بلاد الدنمرك والسويد والنرويج

ذلك مجمل الدعوة التى يبشر بها المجددون فى علم الزراعة والمشفقون على بنى الإنسان من أهوال الحروب

والمذهب معقول فى أصوله وفروعه. ولو أنه مشكوك فى مقدماته أو فى نتائجه لكان مع ذلك جديراً بالبحث والمتابعة والجد فى تحقيق ما يستطاع من خيراته وحسناته، لأن متابعة الأحلام قد تجوز إذا عظمت الغاية وعظم الخطر المرهوب. وأى غاية أعظم من اتقاء الحروب؟ وأى خطر أعظم من خطر الفجائع التى تطبق على الشعوب المسوقة إلى تلك الحروب؟

إن متابعة الأحلام قد تجوز فى هذا المقام، فكيف بالبحوث العلمية وكيف بالوقائع والأرقام؟

عباس محمود العقاد

ليلى المريضة فى العراق

للدكتور زكى مبارك

— ٩ —

خرجت من عند ليلى وقد انتصف الليل ، فما كدت أبلغ الجادّة حتى لمحت إنسانة تعدو خلفى فى الدربونة (١) فالتفت فاذا هى ظمياء

— دكتور ، متى أرجع إليك ؟

— حين تشائين ياظمياء ، ولكن ماالموجب لهذا الاستعجال؟

— هل نسيت البقية من قصة ليلى مع عبد الحسيب ؟

— ما نسيت . ارجعى إلىّ مساء الغد يا ظمياء ، ومعك ماعون من الكُبّة الموصلية (٢)

***

لا موجب للنفاق فى هذه المذكرات . إن ظمياء فيما يظهر تشتهى أن تتكلم فى عبد الحسيب ؛ وأنا فيما يبدو أشتهى الكلام عن درية ؛ وأكرر ما كتبته من قبل : (إنى لا أعرف كيف يلذعنى هذا الاسم) وربما كان هذا من جنون الشعراء ، فأنا شاعر مقل ، ولكن الإقلال لايمنع من التشرف بجنون الشعراء . ولعل الإقلال أدل على الجنون ؛ وإلا فما كان الذى يمنع من أن أفجع العالم بعدة دواوين ليصبح شعرى حديث الأدباء فى سائر البلاد ؟

درية ! درية ! ما أعذب هــذا الاسم ! وما أشقانى فى (استلطاف) الأسماء !

***

رجعت إلى المنزل وأنا أتشوق إلى اقتيات النعاس ، فقد كنت انتشيت فى حديث ليلى ، والمنتشون يتشوقون إلى الهجود ؛ كذلك سمعت . ولكنى صادفت ما أطار النوم من رأسى ، فقد وجدت جريدة الشباب بين البريد وفيها هذه الكلمات :

« فجع الأدب والعلم ونكبت الأخلاق الكريمة بوفاة الأديب الكبير المحقق والكاتب العبقرى المنقطع النظير المرحوم الأستاذ محمد صادق عنبر المنشىء الشهير واللغوى المعروف ، فقوبل الخبر بحزن شديد ، وألم عميق ، لما اشتهر عن المرحوم من واسع العلم والاطلاع وصدق الوداد ومكارم الأخلاق »

وقد هدّنى هذا الخبر المزعج ، ونشر أمام عينىّ كثيراً من الصور والأطياف ، فتذكرت أنى رأيت صادق عنبر أول مرة سنة ١٩٢٣ فى جريدة الأخبار ، فسألنى عمن أفضل من الشعراء فقلت : شوقى . فقال : أسألك عن الشعراء الثلاثة . فقلت : من هم؟ فقال : أبو تمام والبحترى والمتنبى . فقلت : أنا أفضل الشريف الرضى على هؤلاء الثلاثة . فاستغرب وقال : هذا كلام لم يقل به أحد سواك !

وتذكرت أنى كنت أتلقى مجلة النهضة النسائية وأنا فى باريس سنة ١٩٢٧ وفيها رسائل وجدانية عنوانها : (الرسائل الضائعة) وهى رسائل نفيسة بقلم صادق عنبر ، فلما لقيته بعد حين أثنيت عليها ، فقال وهو يتوجع : ليتها كانت صحيحة ، فهى خيالية ! فقلت : ليتك تمضى فى هذا النظام البديع !

وبعد رجوعى من باريس فى سنة ١٩٣١ كان أول من سأل عنى ، فمررت عليه فى قلم المطبوعات فحبسنى ساعتين ليمتع أذنىّ برسائله : (رسائل الحب بين قيس وليلى) فقلت : أهى أيضاً رسائل خيالية ؟ فتنهد وقال : لو كانت تنبىء عن وجد دفين لما كان جسمى أضخم جسم فى هذه البلاد ؟ فنصحته بتكلف العشق ليخف وزنه فيمسى وهو فتى رشيق ؟

وتذكرت أنى أردت مداعبته فى جريدة البلاغ سنة ١٩٣٥ فذهب إلى صديقى الأستاذ كامل كيلانى وقال له : قل للدكتور زكى مبارك : إن صادق عنبر لن يقرأ البلاغ ولن يعرف ماذا يقول ؛ فليثق حضرته بأن الأرض لن تزلزل تحت قدمىّ ، ولن يتقوض ماضى صادق عنبر لأن زكى مبارك يهجم عليه فى جريدة البلاغ !

وتذكرت والدمع يملأ عينى أن الأستاذ محمد على الطاهر أراد أن يحتفل بسفرى إلى العراق فدعانى إلى الغداء عند العجاتى مع جماعة من أهل الأدب والعلم والبيان ، كان فيهم الأستاذ صادق عنبر ، ولكنه يومئذ لم يشترك فى أطايب الحديث ، فهل كان انتهى من دنياه ؟

يرحمك الله يا صديق ، ويرحم عهدك فى جريدة اللواء ، يوم كان أكثر كتّاب اليوم أطفالاً يلعبون !

***

(١) الدرب فى مصر هو الدربونة فى العراق

(٢) الكبة عند العراقيين هى الكبيبة عند السوريين ، ويقال إن الكبة الموصلية كانت السر فى براعة أبى اسحاق فى الغناء

الشجى يبعث الشجى !

هل أستطيع أن انتهز هذه الفرصة فأدون فى هذه المذكرات حادثة عجزت عن تدوينها منذ أشهر طوال ؟ هل أستطيع أن أقول بصراحة إننى كنت من أشد الناس ارتياحاً إلى اصطخاب الجدل السياسى فى مصر ؟ لقد آن لقلبي أن يفصح عن بلائه المكنون . إن الجدل السياسى فى مصر كان نعمة وارفة الظلال لأنه استطاع أن يشغل صديقى الأستاذ عباس الجمل عن أفدح نكبة أصيب بها فى دنياه ، وهى احتضار[1] الغصن المطلول الذى اسمه طاهر عباس الجمل الطالب بكلية الحقوق

آن أن أصرح بأن هذا الأديب المفقود كان يحفظ ديوانى ، وأنه تفضل فأسمعنيه قبل أن يذهب إلى دمياط بيوم واحد . آن أن أصرح بأن هذا الشاب كان يرانى أكرم أصدقاء أبيه ، وكان يرى من البر أن يحفظ أشعارى ويقتنى مؤلفاتى . آن أن أبكى هذا الشاب النبيل الذي كان أطهر ضحية ظفرت بها الأمواج

لقد حضرت الذكرى الأخيرة من ذكريات سعد زغلول وكان مجلسى فى السرادق يواجه مجلس النقراشى باشا فلم أسلم عليه ؛ وظن بعض الحاضرين أننى خشيت أن يكون فى السلام عليه ما ينقض مودتى للنحاس باشا . فهل أستطيع أن أنص فى هذه المذكرات على أننى لم أخف يومئذ إلا أن يقع بصرى على الأستاذ عباس الجمل فأذكره بتلك المصيبة التى تذيب لفائف القلوب ؟

كان طاهر الجمل لا يلقانى فى الطريق إلا دعانى إلى رؤية منزلهم الجديد فى مصر الجديدة ، وكان يغرينى فيقول : إن لونه كالشليك !

ولكنى لم أطعه ولم أر المنزل . وما أظننى سأراه فى بقية حياتى ، لأن جزعى على طاهر خليق بأن يقتلنى إذا رأيت ما كان يهواه فى دنياه .

أخى الأستاذ صادق عنبر

أرأيت كيف كانت مصيبتى فيك باباً من البلاء ؟

إن طاهراً فى نضارته كان مثلك فى ذكائك ؛ وعبقرية النضارة لا تقل روعة عن عبقرية الذكاء . وأنت قد تجد من يحبر الرسائل الطوال فى الثناء عليك ، ويقيم لك حفلات التأبين ؛ أما طاهر الجمل فيستصغر ناس قدره ، لأنه كان طالباً بالسنة الثالثة بكلية الحقوق ، فلم يبق إلا أن أقف وحدى لبكاء تلك الزهرة النضيرة التى اقتطفها الموت فى شاطىء دمياط

وما يؤذينى وأنا أكتب هذه الكلمات إلا أن تحمل نسائم الهواء إلى الأستاذ عباس الجمل أننى فكرت فى طاهر ، فيتذكر أننى ما عزيته فيه ، فيتجدد عتبه على صديقه القديم ، أو يؤذيه أن يتذكر ابنه بعد تناس ؟ ولكن كيف يتناساه بعد أن نعم بوجهه وروحه سنين وسنين ، وأنا ما نسيته مع أن بصري لم يقع على وجهه الجميل غير مرات ؟

يا طاهر !

أذكرنى عنــد ربك ، وقل إن فى سكان الأرض ناساً يحفظون الجميل !

* * *

وقضيت تلك الليلة وأنا مؤرق الجفون ؛ وزاد فى الغم والحزن أن الوهم خيل إلىّ أن صادق عنبر قد يكون مات بسبب ليلى ، مع أن ليلاه خيالية ، فكيف يكون مصيرى وليلاى امرأة رخيمة الصوت ساحرة العينين تقيم بشارع العباس بن الأحنف فى بغداد ؟ !

وفكرت ثم فكرت ، والشجون من جملة الأرزاق !

ولكن وقع حادث طريف خفف ذلك البلاء :

فقد صمم سعادة وكيل وزارة المعارف العراقية أن يزورنى فى منزلى ليؤدى واجب التحية لرجل هجر وطنه وأهله ليتشرف بخدمة الأدب العربى فى العراق ؛ وكانت زيارته فى الليل ، فراعه أن يرى الظلام يغمر السلالم والدهاليز ، فاستشاط غضباً وقال : كيف يجوز لصاحب هذا المنزل وهو عضو بمجلس النواب أن يهمل الإضاءة الواجبة ، وهو يعلم أن من سكان منزله صاحب النثر الفنى ؟ سأعرف كيف أحاسب ذلك النائب وكيف أقهره على تعميم النور فى دهاليز ذلك البيت ؟

فقلت وأنا أتخوف العواقب : أنا مطمئن إلى هــذا الظلام يا سعادة الأستاذ !

فقال: وأنا أخشى أن تشكونا إلى مجلة الرسالة أو جريدة البلاغ

(١) الاحتضار بالحاء المعجمة هو الموت فى عهد الحداثة والشباب

ولم يمض يومان حتى نفذ النائب المحترم ما أراد سعادة الوكيل ؛ ولكن ظمياء استرابت بهذه الأنوار ورفضت دخول البيت !

— ماذا تخافين يا ظمياء ؟

— أخاف الأقاويل والأراجيف

— من المفهوم أنك وصيفة ليلى ، وأنى طبيب ليلى

— هذا كلام لا يصدقه غير المطلعين على ما جرى فى هذا الشأن من المخابرات بين الحكومة العراقية والحكومة المصرية

— والجمهور ؟

— أترى الجمهور يصدق حقيقة أنك جئت لمداواة ليلى المريضة فى العراق ؟

— خبر أسود !

— خبر أسود ، خبر أبيض ، خبر بنفسجى ، خبر عنابى ، خبر برتقالى ، خبر بنى ، خبر خمرى ، أنا لا أدخل هذا البيت فى هذه الأنوار وكل سكانه يعرفون أنك رجل وحيد

— نعم ، أنا رجل وحيد

— وحيد ، أعنى تعيش وحدك

— مفهوم ، يا ألأم النساء فى بغداد

— إيش لون ؟

— لاشىء ، أقول إنه لا موجب لهذا التخوف ، فأنا طبيب ليلى وأنت وصيفة ليلى

— اسمع يا دكتور ، أنا أثق بأمانتك ، وليلى لم تنهنى عن التودد إليك ، ولكنى لا أقبل أن أكون مضغة الألسنة فى هذا الخان

— ومن الذى سيعرف مثلا أنك ظمياء ؟

— يجب أن تفهم أنك فى بغداد !

— باسم الله الحفيظ !

— اسمع يادكتور ! يظهر أنك رجل طيب أكثر مما يجب . إن التعرض لأقوال الناس كالتعرض لأقوال الجرائد ؛ وربما كان كلام الجرائد أسلم عاقبة من كلام الناس ، لأنك تستطيع أن تكذب ماتنشر الجرائد من الباطل فتدفع ماتؤذيك به من بهتان ؛ أما كلام الناس فلا سبيل إلى دفعه لأنه ينتقل من أذن إلى أذن ومن لسان إلى لسان ، ثم لا تمضى غير أيام حتى يأكل لحمك المفترون ، ويأتم بسببك الأبرياء

— وماذا أصنع يا ظمياء ؟

— ارحل عن هذا البيت

— وكيف بعد أن تكلف صاحبه ماتكلف فى تبديد الظلمات ؟

— اختلق سبباً من الأسباب

— أختلق ؟ !

— الاختلاق مما يجوز فى بعض الأحيان

وعندئذ تذكرت أن الأستاذ بهجة الأثرى كان اقترح على صاحب البيت أن ينظم الحمّام ولم يفعل ؛ فطمأنتُ ظمياء . ومضيت فقضيت معها السهرة فى بيت أمها ، وهو منزل صغير فى درب ضيق لم أسأل عن اسمه ، وهو درب يشبه ما يسمونه فى مصر : شق الثعبان

وفى صباح اليوم التالى قابلت حضرة النائب المحترم وذكرته باقتراح حضرة الأستاذ بهجة الأثرى ، فأراد أن يتحلل من الوعد فتكلفت الغضب وقلت فى سخرية مصطنعة : كذلك تكون وعود النواب ! !

ولم تمض غير ساعات حتى انتقلت إلى منزل آخر فى شارع السموءل

ولكن كيف انتقلت بهذه السرعة فى يوم واحد ؟

ذلك أمر كان يعجز عنه السنهورى والزيات وعزام

والواقع أني رجل خطر جداً ، فقد أمسيت أعرف بغداد كما أعرف باريس ؛ ومعرفتي بهاتين المدينتين تساوى جهلى بمدينة القاهرة التى لا أعرف منها غير ثلاثة أحياء . أما الاسكندرية فلا أعرف منها غير الشاطئ الذى تمطره أنفاس الملاح فى الصيف

* * *

ولكن لماذا اخترت شارع السموءل ؟

لأنه شارع البنك وجميع سكانه من أهل المال ، وأهل المال فى الأغلب لا يعتدون على الأعراض ، وإنما يعتدون على الجيوب . فالشرطة في مثل هذا الشارع لا تفكر في الفجرة وإنما تفكر فى اللصوص ، وكذلك تعودني ظمياء بلا تهيبٍ ، لأن المآثم فى

هذه الجادّة قليلة الخطور بالبال ، وذلك كل ما أتمناه للسلامة من أهل الفضول

وقــد عزّ عليّ أن يتطاول بنو إسرائيل على اسم السموءل فيسموا به شارع البنك ؛ وكان السموءل على يهوديته عربياً سخي اليدين ، فما كان ضرهم لو نطقوا اسمه على طريقتهم فقالوا (صموبل). ثم تذكرت أن السموءل كان أقدم من عبّر عن ضمائر البنوك حين قال :

ونُنكر إن شئنا على الناس قولهم ... ولا ينكرون القول حين نقول

فالبنك هو الذى ينـكر ما تقول ، ولا تستطيع أن تنـكر ما يقول ، فهو الفيصل في التصحيح والتزييف

ولعل انتقالى إلى شارع السموءل يدخل على طباعى بعض التعديل . ولعلني أكتسب شيئاً من أخلاق بني إسرائيل ، فان الحب يبدد ما أجمع من المال . أليس من السفه أن أراني مسئولاً عن طوائف من البيوت تُسدَل ستائرها على طوائف من الوجوه الصّباح ؟ وهل رأى الناس حالاً أغرب من حالى وأنا أنفق على بيت فى النمسا منذ سبع سنين لأن فيه فتاة جميلة كانت ترافقني فى السوربون ؟

أمرى إلى الهوى !

* * *

تركت أول منزل سكنته فى بغداد . ويا حسرة القلب على فراق ذلك المنزل الجميل ! فقــد كان صورة صحيحة للمنزل الذى كنت أسكن فيه حين كنت طالباً بالازهر الشريف . كان صورة لربع يعقوب بالغورية ، على أيامها السلام ! وكانت جاراتى فى ذلك الربع من الغيد الحسان ، وكان فيهن اسرائيلية تأتمنني على كل شيء وتقول : الشيخ زكي مسلم ولـكنه ابن حلال

وكنت حقاً ابن حلال . كنت مستقيماً أؤدى الفرائض وأقرأ الأوراد ، وما تغير حالى إلا منذ استطعت أن أقول : بونجور مدموازيل ! بونسوار مدام !

لم أفارق منزلى فى شارع الرشيد بدون حسرة لاذعة ، فقد أقمت فيه ثلاثة أشهر أنشأت فيها تسعمائة صفحة ، واستقبلت فيه ظمياء تسع مرات ، وهو يذكرني بمأواى القديم فى ربع يعقوب الذى ألفت فيه كتاب الأخلاق عند الغزالى ، واستقبلت فيــه الشيخ الزنكلونى والشيخ عبد المطلب ؛ ويذكرنى بأول منزل سكنته فى مصر الجديدة وهو الذى ألفت فيه كتاب التصوف الإسلامى ، واستقبلت فيه الدكتور طه حسين والمسيو لالاند والمسيو ماسينيون ؛ ويذكرنى بغرفتى بشارع أراس فى باريس ، وهى الغرفة التى ألفت فيها كتاب النثر الفنى ، وسمعت فيها أنغام اللغة الفرنسية كما ينطقها بناتها ، وكما يلحن بها الانجليزيات والأسبانيات والنمسويات والألمانيات ، ولا سيما الشقراء التى ما كانت تتكلم بغير الغناء :

هل الله عافٍ عن ذنوب تسلّفتْ ... أم الله إن لم يَعْفُ عنها يعيدها ؟

أمرى إلى الهوى ! !

* * *

لقـد انزعج صاحب المنزل حين رأى الحمالين من الأكراد ينقلون أثقالى ، وبالغ فى التلطف ليردنى إلى المنزل . ولـكن هيهات ، فأنا طبيب أفسده الأدب والطبيب الفاسد لا يطاق

أنا أعرف أنى خاصمت نائباً ، ولـكن يعزيني أن نواب العراق لا يلتفتون إلى المسائل الشخصية ، فلن ينالنى شر من هذا النائب على الاطلاق . وسأرجو الأستاذ معروف الرصافى أن يصلح ماييني وبينه إن رأيت ما يوجب ذلك ... وهل من الـكثير أن أخرج على أصول الأدب والذوق فى سبيل ظمياء ؟ إن هــذه الوصيفة تعرف جميع أسرار ليلى ، وهى أيضاً ستحدثنى عن درية . ويالوعة القلب من طيف درية ! فهل يتلطف الحظ فيمتعنى بهوى امرأة تحمل هذا الاسم الجميل ؟ !

* * *

إن أحزانى لا تحملها الجبال ، ولـكن الله بعباده رؤوف رحيم ؛ فهو يسوق إليّ موجبات الابتسام ، أنا الرجل الحزين الذى لم يعرف قلبه الفرح منذ سنين ، وكيف أفرح وقد طلبنى أبى يوم موته أكثر من خمسين مرة فلم أكد أصل إليه حتى بكته النائحات ؟

انتظرت ظمياء في المنزل الجديد وأنا محزون ، وأشهد أنى مُكره على تأدية هذه الخدمة الوجدانية ، فما أعرف كيف يصير حالى مع ليلى ، ولعلها تُعاقَى ويعرض الطبيب !

ودخلت ظمياء وهي تُرغى و تُزبد

— هل عرفت ما صنعت المرأة جميلة ؟

— ماذا صنعت ؟

— لقد مزقت قمصانك بعد أن غسلتها وكوتها

— عجيب ! ولماذا ؟

— لأنها قرأت في مجلة الرسالة أن اسمها جميلة ، واسمها الحقيق هو ...

وعندئذ ضحكت ضحكة قوية كادت تمحو سطور الأحزان من القلب العميد

إن تلك المرأة لم تعرف إحساني إليها بتلك التسمية ، فقد خلعت عليها اسماً أحبه أصدق الحب ، ورحمتها من الاسم الذي كانت تحمله ، لأنه يقربها من شيخ أبغضه أشد البغض ، ويكفي أن يكون اسمها واسمه مبدوءين بحرف الحاء

تلك امرأة حمقاء ! ولكني لن أنسى معروفها عندي ، فقد كانت أول امرأة خدمتني في بغداد . ولو رآها الجاحظ لصاغ لها عقود الثناء

— ظمياء

— نعم يامولاي

— لا أريد أن أسمع اسم هذه المرأة مرة ثانية ، ولا أحب أن أراها بعد أن مزقت قمصاني

— وأنا أكره لسيدي الطبيب أن يتصل بهذه المرأة فقد بدأت تنتابه منذ يومين

— تنتابني ؟ وما عساها أن تقول ؟

— تقول إنك تحب ليلى

— أنا أحب ليلى ؟ وهل جننت حتى أحب امرأة عليلة لا تملك من شواهد الحياة غير صوت نئوم وطرف يشيع فيه التكسر والنعاس ؟

— إيش لون ؟

— ما أدري يا ظمياء

— الأفضل أن نعود إلى قصة عبد الحسيب

— أو قصة درية

— قصة عبد الحسيب

— قصة درية ، قصة درية

— وهل تكره قصة عبد الحسيب ؟

— قصي على حديث الأخوين : درية وعبد الحسيب

— وأخذت ليلى تقلب الجرائد بحضور السيدة نجلاء فرأت في السياسة الأسبوعية مقالة في رثاء أستاذ مستشرق اسمه بول كازانوفا كتبها أستاذ مستغرب اسمه طه حسين . وتدخل الشيخ دعّاس ليشرح المراد من الاستغراب والاستشراق

« للحديث بقايا » زكي مبارك

الأدب في العراق

كلمة تخصيصة أولى

للأديب السيد عبد الوهاب الأمين

— ١ —

الأدب بعد الحرب

دعى القرن العشرون قرن المدنية والنور ؛ ولقد كانت مفاخر العصور السابقة من طراز آخر غير المدنية وغير النور ، فمفهوم « المدنيـة » لا زال مقروناً بالحرب والدمار ، ولا يزال النور مقصوراً على الماديات دون المنويات . وقد قامت بعد الحرب العظمى هيجة صاخبة أيقظت جميع الشعوب ، كان قوامها نهضة أدبية شاملة ، لا تزال بقايا منها محتفظة بفعالية ظاهرة . وها نحن أولاء نرى فى كل يوم دليلاً جديداً على هذه النهضة الأدبيـة الكبرى ، فيما تستبق إليه المطابع العربية من نشر مؤلفات جديدة لشخصيات أدبيّة عالية من طراز لم تعهده البشرية قبل الحرب العظمى ؛ فكان من الطبيعى أن يثار التسآل عن هذا الأدب وهذه النهضة الأدبية ، وما محصولها وقوامها وجدواها ؟ وهل الأدب لهو يزجى الإنسان به ساعات فراغه ليعتصم به من مفاسد الفراغ كما يقول الشاعر ؟ أو هو ضرورة من ضرورات الحياة المدنية ودلالة على الحياة المنوية المكتملة ؟

إن كانت الحياة لهواً فالأدب كالحياة لهو لا مفر منه ، وإن كان يفوقها بأنه لهو له جدواه ودلالته ، وهى مقصورة الدلالة على أنها لا جدوى لها ؛ وهو إحدى ضرورات الحياة الشاعرة المدركة ودلالاتها ؛ وبغير فضيلتى الشعور والإدراك لا تبقى من معانى الحياة غير الناحيـة البهيمية التى يترفع البشر المدرك أن يقتصر عليها . والأدب —وهو وصف الحياة الصادق— مقرون بالحياة ومحمول عليها ؛ فإن كانت حياة رفيعة فهناك أدب رفيع ، وإن كانت منحطة فأدب منحط ؛ وفى هذه الناحية يؤيدنا التاريخ تأييداً لا يستدعينا البرهان

ونعتصم بالتاريخ مرة أخرى فنراه يقول : « إن نهضة من النهضات فى الشعوب العالمية لم تتم إلا بعد أن تقدمتها حركة أدبية » . وقد سجل هذا التاريخ فى صفحاته مجداً لفولتير وروسو كمجد نابليون وروبسبير ؛ ولسنا نعنى أن الأدب بصورة مجردة يتقدم ظهوره فى نهضات الشعوب ، بل المقصود أن تقدم ظهوره فى مثل هذه الحالات إنما هو دليل قاطع على نهضة تلك الشعوب وإنذار وبلاغ بنهضة مقبلة على الفور ، وما نريد أن نعنى بالأدب غير البلاغ والإنذار

هل الأدب ضرورة ؟

ليس من شك فى أن الأدب ضرورة

وهو ضرورة لا تشبه غيرها من ضرورات الحياة الكبرى ، لأنها ضرورة شديدة الشبه بالحياة نفسها كما تقدم ، وذلك لأنها حياة أخرى من دون لحم ودم . أو هى الحياة نفسها مخلدة على الورق ، وفى بطون الكتب . وليس المقام مقام تمجيد للأدب ومغالبته فى الحياة ، وإنما هو مقام تعريف بقدره ومكانته بوجه عام ، وما دمنا نريد لحياتنا العامة تقدماً واضطراداً . فأحرى بنا أن نوجه أنظارنا لتعرف آثار هذه النهضة المقبلة وما يجب أن يسبقها من البعث الأدبى

نظرتنا الى الأدب ونتائجها

لذلك ينبغى أن نغير نظرتنا إلى الأدب ، تلك النظرة السطحية التى تعودنا منذ عشرات السنين أن ننظرها إلى المحصول الأدبى وإلى أشخاص الأدباء ، سواء الأحياء منهم والأموات . يجب أن نفهم أن الأدب ليس تزجية الفراغ ، أو سمر العاطل ، أو منادمة الميسور ، أو ما يدخل فى أمثال هذه المعانى مما درجنا على اعتقاده ، فالأدب كما يفهم غيرنا قوة فعالة فى الحياة اليومية والحياة العامة بصرف النظر عن مفهومه ودلالته

إن هناك خطراً خلقياً عظيم الأثر سنتعرض له ، إذا استمرت نظرتنا إلى الأدب على ما هى عليه الآن من السطحية وقلة الشأن من جهة ، ومن الخطأ الشائع فى مفهومه وإدراكه من جهة أخرى . فالأديب فى نظر الأكثرين منا هو الشخص الذى يعيش على هامش الحياة ولا يقيم وزناً لخارجياتها وماديائها ، ولا يسأل عما يقول أو يفعل ، ويكفى أن يوصف الانسان « بالأديب »

لكي يفهم السامع أنه أمام شخص غريب الأطوار يعيش في عالم لا علاقة له بالحاضر ولا يطلب منه الاستعداد للمستقبل. وكذلك يتلقى أكثرنا كتابات الأدباء وقصائد الشعراء على أنها أقرب ما تكون إلى الآثار والعاديات

وقد كان لهاتين الحالتين نتيجتان أولاهما مادية والأخرى روحية، فالأولى أننا أصبحنا فقراء في أدبنا عالة على آداب غيرنا. فنا من ينصرف إلى قراءة الأدب بإحدى اللغات الأجنبية إن كان يحسنها، والذين يجهلون تلك اللغات قد تعودوا القناعة بما تصدره مصر وسورية وبقية البلاد العربية من مطبوعات وكتب. والنتيجة الروحية هي هذه الحالة التي توشك أن نحس بها جميعاً من القنوط من بعث أدبي لا نحس الحاجة إليه، ويقنعنا أن نكتفي بالتعيش على فيض مما تصدره جاراتنا العربيات من أدب يختص بهن، ولا يطمئن حاجاتنا الروحية أو يعبر تمام التعبير عن إحساسنا الفني

أدبنا كما ينبغي أن نفهمه

الأدب كما يفهمه هـذا العصر لا ينحصر — كما يعتقد الكثيرون منا ممن اقتصرت ثقافتهم على نوع واحد من أنواعه — في القدرة على الأداء والتعبير الجميل، بل أصبح — بفضل الطباعة والصحافة — يضم إليـه أشتاتاً أخرى من فنون لم تكن في العهد القديم تقرن به؛ وتطورت تسمياته فأصبحنا نسمع الآن «بأدب البحر» و«أدب الموسيقى» و«أدب الموقد» وما إلى ذلك من التسميات. وعهدنا نحن بالأدب أنه محصور في اللغة والبديع، والأمالي، والمقامات، وما إليها. ولكن من هـذه الفنون — طبعاً — أصول ليس في مكنة الأديب أن يتعداها أو يغفل عنها؛ ومن هنا نتج الضيق فيما نسميه نحن أدباً ويسميه الغربيون عنا Folklore بينما هم يسمون الأدب باسم آخر

ولو أردنا أن نحصر مفهوم الأدب كما يدركه أبناء العصر الحاضر لما عجزنا عن ذلك فحسب، بل لكان عملنا — لو تم — ناقصاً في ذاته، بالغاً ما بلغ من كمال؛ ذلك لأن المفهوم عنه لن يقف عند ما سوف نصل إلى تحديده وتعريفه، بل سيخلق وشيكاً غيره وغيره من فنون لا نستطيع منذ الآن أن نعطي فكرة عنها

فنحن الآن مثلاً لا زلنا نعيش في أدب الترسل واجترار الكلام على الأصول القديمة؛ أما في العالم فقد حدثت بعد دورنا هذا آداب جديدة: كأدب المقالة، وأدب القصة، وأدب الرواية، وأدب الترجمة Biography ولن يستطيع أي مفكر وأديب كبير أن يتنبأ عن أدب العصر المقبل: ما هو؟ وكيف سيكون؟ وماذا يفيد؟ وما أسلوبه؟

علم الأدب

إننا نفهم الأدب الآن فهماً غريباً لا هو بسبيل فهم الأقدمين له، ولا هو على شاكلة ما يعنيه الغربيون ويصطلحون عليه؛ فقد كان شأنه في القديم عظيماً، وكان شخص الأديب عنصراً فعالاً في الحياة العامة. وحسبنا دلالة على مفهوم الأدب وفعاليته في تلك العصور ومقام الأديب في الحياة الاجتماعية أن الأقدمين كانوا يعزون الأدب فيسمونه «علماً» وهم يقصدون بالعلم ما نقصد العلم به الآن بهذه التسمية فيقولون «علم الأدب»؛ ويصفون الأديب بأنه عالم في علم الأدب

تطور مفهوم الأدب والصحافة

والأدب في العصر الحاضر له مفهوم تطور وترقى حتى زاد في علوه على ما كان له من المكانة في العصور القديمة، وأصبح شأنه في الحياة العامة أعمق وأخطر مما كان عليه في العصور التي سبقت المدنية الحديثة، وأصبح الانسان لا يستطيع أن يتصور بلداً متمدناً من دون صحف وطباعة. وقد حاول أحد الكتاب أن يستمر في خياله عن مدنية كهذه، فانتهى به الأمر أن وكل نتائجها إلى الجنون. فقد أصبحت الصحافة سلاحاً وكانت في بداية أمرها لا تزيد على وسيلة بسيطة لزيادة المعلومات العامة ونشر الأخبار؛ وصارت «القصة» الفنية الأدبية وسيلة العالم في الدعوة إلى نظرية من نظرياته، والفيلسوف إلى نشر فلسفته، والسياسي إلى الدفاع والدعاوة عن سياسته، وغدا شخص الأديب متمتعاً بأكثر مما كان يتمتع به شخص الأمير من التجلة والاحترام والتقدير والمهابة في العصور السابقة

الأدب كما نفهمه نحن

أما ما نفهمه نحن عن الأدب فأنه ينحط إلى أقل من اللهو والمجانة ، وبعض أساليب اللهو عنـدنا تستدعينا شيئاً من الجد والهمة فى إحضارها والاستعداد لهـا ، أما الأدب فلا نكاد نعتبره من الملاهى التى نجد فى الحصول عليها ، فان حصل من تلقاء نفسه فانه لا يكاد يعنينا إلا أن نكون نحن في حالة لهو ، أو نتلقاه على أنه صنيعة لاه غير مسؤول عما يقول ، فى ساعة لهو خالية من خير أو من جد أو من منفعة . وهـذا نهاية ما يصل إليه سوء فهم الأدب ، وسوء تأويله ، وخطر حالة مثل هذه لا يقتصر على تشويه جمال الأدب نفسه ، بل يتعدي ذلك إلى خلق شعور العجز والمحاكاة والتقليد الأعمى كما نرى جماع ذلك فى حياتنا الأدبية الحاضرة

لقد آن لنا أن ندرك حظ الأدب ومغالبته فى الحياة العامة وتأثيره فى إعداد الأجيال المقبلة الاعداد الذى يتفق مع ماسيحتاجون إليه من كفاءة وقدرة . ونحن مسؤولون أمام التاريخ عن إهمال الناحية الأدبية والفنيه فى حياتنا ، كأفراد ، وكأمة ، وكحكومة . وما دمنا نسعى إلى النهوض فى جميع مناحى حياتنا العامة فأحرى بنا أن نضع نصب أعيننا ضرورة اعتبار الأدب بوجه عام من أهم ما ينبغى السعى على إحيائه والعمل على النهوض به . ولن يستدعينا العمل لهذه الغاية ما يستدعى الحياة المادية من تضحية فى النفوس والأموال والكفاءات والجهود ، بل كل ما نحتاجه فى هـذا المضمار هو تحسين نظرتنا إلى الأدب ومعناه وأثره واعتباره من الضرورات التى ينبغي أن نوحد الجهود فى سبيل العناية بها فى غمار ما نحن آخذون بسبيل السعي إليه من نواحى الحياة الأخرى ، والكف عن اعتباره ألهية لا تستحق عنايتنا إلا بعد الاجهاد والنصب كما نتناول ألهيات الحيـاة وتفاهاتها . ولا نطمع فى أن يصل تقديرنا هذا للأدب إلى أكثر مما وصل إليه فعـلا فى أيام المتنبي وأبى نواس ومن عداهما وإن كان يحق لنا أن نحذو حذو أوربا والغرب فى هذا المضمار وأن يكون تقديرنا له كتقديرهم له سواء بسواء

« للحديث بقية ــ بغداد » عبد الوهاب الأمين

من برجنا العاجي

التجارب هى إحدى وسائل « العلم » ، ولعل ساعة « التجربة » هي أمتع لحظات « العالِم » . خطر لى مرة أن أقوم بتجربة غريبة ممتعة : أن أضع امرأة فاتنة بين إخوانى الأدباء الأفاضل : العقاد وطه والمازنى وأحمد أمين والزيات والبشرى ؛ ثم أنظر بعد ذلك ما يكون . إنى على ثقة أنهم لن يناموا ليلتهم قبل أن يسطر كل منهم على الورق أشياء قد تكون من أجمل ما كتبوا . إن المرأة الجميلة فى مجلس الأديب لها فعل السحر . تستطيع بغير عصا أن تخرج جواهر البيان من أفواه الأدباء ؛ إنـا لا نكاد نجد أدباً من الآداب العظيمة لم يرو لنا خبر المرأة فى مجلس الأدب ؛ فاذا راجعنا الأدب العربى القديم وجدنا ذكر الجوارى اللواتى كالشموس ، الضاربات بالعود ، اللاعبات بالنرد ، الراويات للشعر ؛ وإذا نظرنا فى آداب الغرب فى كل عصر وجدنا أخبار « الصالونات » وما فيها من أقمار كلهن ذكاء وثقافة ودلال . نعم ؛ وهل يمر يوم على أديب من أدباء الغرب لا يجلس فيـه إلى مائدة تزينها باقات النساء الجميلات ؟ ! فيلبث ساعة يتحدث إلى ملكين رقيقين عن يمينه ويساره يقطر الوحى من شفتيهما ، ثم يعود إلى عزلته وكتبه وورقه ليمضى فى إنتاجه الأدبى ، هذا الإنتاج الذى نراه بعد ذلك آية من آيات الإعجاز ! أما نحن فلا عرب بلغنا ولا غرب ، ولا شموس حولنا ولا أقمار ؛ ولكننا أدباء كالعناكب ننسج فى الظلام ، ونعيش فى الجدب والحرمان ؛ ومع ذلك ننتج أحياناً ، وهنا حقاً آية الإعجاز ! إن أولئك الذين يتهمون أدبنا الحديث بالتقصير هم قوم ظالمون أو أغرار لا يبصرون . إن أدباءنا المعاصرين لجبابرة مستبسلون ، ومجاهدون مستشهدون ، لم يعرف مثلهم أدب من الآداب . فما من أدب فى التاريخ استطاع أن يظهر فى ظروف اجتمعت على خنقه كهذه الظروف . اللهم إنـا شهداء ! اللهم إنـا شهداء !

توفيق الحكيم

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعي

١٨٨٠ — ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

— ٢٣ —

الرافعي والعقاد

لقد مات الرافعي — رحمه الله — فانقطع بموته ما كان بينه وبين خصومه من عداوات . وما أريد أن أوقظ فتنة نائمة يتناولني لهيبها أولَ ما يتناول ، فما لي طاقة على حمل العداوة ، ولا اصطبار على عنت الخصومة ، ولا احتمال على مشقة الجدال ؛ وإنما هو تاريخ إنسان له على العربية حق جحده الجاحدون فنهضت الوفاء به ؛ فإن كنت أكتب عن أحد من خصومه أو أصحابه بما يؤلم أو يسيء فما ذلك أردت ، ولا إليه قصدت ، ولا به رضيت ؛ ولكنها أمانة أحملها كارهاً ، وأضطلع بعبئها مضطراً ، لأؤديها إلى أهلها كما تأدَّت إليَّ . وإني لأعلم أني بما أكتب من هذا التاريخ أضع نفسي بالموضع الذي أكره ، وأتعرض بها لما لا أتوقع ؛ ولكن حسبي خلوص النية ، وبراءة الصدر ، وشرف القصد ؛ ولا عليَّ بعد ذلك مما يكتب فلان ، ولا مما يتوعَّد به فلان ؛ فإن كان أحد يريد أن يصل بي ما كان بينه وبين الرافعي من عداوة فانقطعت ، أو يربط بي رابطةً كانت بينه وبين فلان فانفصمت ، أو يتخذ من الاعتراض عليَّ زلفى إلى صديق يلتمس ودَّه ، أو يجعل مما يكون بيني وبينه سبيلاً إلى غرض يرجو النفاذ إليه ، أو وسيلة إلى هوى يسعى إليه — إن كان أحد يريد ذلك فليمض على إرادته ، وإن لي نهجي الذي رسمت ، فلنفترق بنا الطريق أو تلتق على سواء ، فليس هذا أو ذاك بثانيني من المضيِّ في سبيلي . ومن الله التوفيق !

* * *

وهذه خصومة أخرى من خصومات الرافعي ، ومعركة جديدة من معاركه . وإني لأشعر حين أعرض لنبش الماضي فأذكر ما كان بين الرافعي والعقاد ، أني كمن يدخل بين صديقين كان بينهما في سالف العمر شحناء ثم مسحت على قلبيهما الأيامُ فتصافيا ، فإنه ليُذكِّر بما لا ينبغي أن يُذكر . والموت يحسم أسباب الخلاف بين كرام الناس ؛ فإذا كان بين الرافعي والعقاد عداوةٌ في سالف الأيام فقد انقطعت أسبابها ودواعيها ، فإن بينهما اليوم لبرزخاً لا تجتازه الأرواح إلى أخراها إلا بعد أن تترك شهواتها وأحقادها وعواطفها البشرية . فهنا ناموس وهناك ناموس ، ولكل عالم قوانينه وشريعته ؛ فما تخلص ضوضاء الحياة إلى آذان من في القبر ، ولا ينتهي إلى الأحياء من عواطف الموتى إلا ما خلفوا من الآثار في دنياهم

هنا رجل من الأحياء ، وهناك رجل في التاريخ ، وشتان بين هنا وهناك ؛ فما أتحدث اليوم عن خصومة قائمة ، ولكني أتحدث عن ماضٍ بعيد . والرافعي الذي يحيا بذكراه اليوم بيننا غير الرافعي الذي كان ، فما ينبغي أن تجدد ذكراه ماضيَ البغضاء ، وهذا عذري فيما أذكر من الحديث ...

لم يكن بين الرافعي والعقاد قبل إصدار الطبعة الملكية من إعجاز القرآن غير الصفاء والود ؛ فلما صدر هذا الكتاب في طبعته الجديدة أحدث بينهما شيئاً كان هو أول الخصام ...

حدثني الرافعي قال : « سعيت لدار المقتطف لأمر ، فوافقْتُ العقاد هناك ، ولكنه لقيني بوجه غير الذي كان يلقاني به ، فاعتذرت من ذلك إلى نفسي بما ألهمتني نفسي ؛ وجلسنا نتحدث . وسألته الرأي في إعجاز القرآن ، فكأنما ألقيت حجراً في ماء آسن ... ومضى يتحدث في حماسة وغضب وانفعال ، كأن ثأراً بينه وبين إعجاز القرآن . ولو كان طعنه وتجريحه في الكتاب نفسه لهان عليَّ ، ولكن حديثه عن الكتاب جره إلى حديث آخر عن القرآن نفسه وعن إعجازه وإيمانه بهذا الإعجاز ... ... أصدقك القولَ يا بني : لقد ثارتْ نفسي ساعتئذٍ ثورة عنيفة ، فكدت أفعل شيئاً . إن القرآن لأكرم وأعز ... ولكني آثرت الأناة ... »

قال الرافعي : « وأخذت أناقشه الرأي وأباده الحوار في هدوء وإن في صدري لمرجلاً يتلهب ؛ إذ كنت أخادع نفسي فأزعم لها أنه لم يتخذ لنفسه هذا الأسلوب في الهجوم على فكرة إعجاز القرآن

إلا لأنه حريص على أن يعرف ما لا يعرف ، وعلى أن يقتنع بما لم يكن مقتنعاً به ؛ فأخذت معه فى الحديث على هدوئى وثورة أعصابه .. ولم أفهم إلا من بعدُ ما كان يدعوه إلى ماذهب إليه .. »

قال : « لقد كان العقاد كاتباً من أكبر كتاب الوفد ، ينافح عنه ويدعو إليه بقلمه ولسانه عشر سنين ، وإنه ليرى له عند « سعد » منزلة لا يراها لكاتب من الكتاب ، أو أديب من الأدباء ، وإن له على سعد حقًّا ؛ ولكن سعداً مع كل ذلك لم يكتب له عن كتاب من كتبه : « كأنه تنزيل من التنزيل ، أو قبس من نور الذكر الحكيم » وكتبها للرافعى وليس له عليه حق مما عليه للعقاد ... »

قال الرافعى : « ... من هنا يا بنى كانت ثورته . كانت ثورة الغيرة ... لا ثورة الأديب الناقد الذى لم يقنع بما كتب الكتّاب عن إعجاز القرآن فهو يلتمس المعرفة والاقتناع . وعرفتُ ذلك من بعدُ ، فما بدا علىّ ما فى نفسى من الانفعال ، ومضيت معه فى الحديث فى وجه جديد . قلت : أنت تجحد فضل كتابى فهل تراك أحسن رأياً من سعد ؟ »

قال الرافعى : « وفهم ما أعنيه فقال : وما سعد ؟ وما رأى سعد ؟ »

قال الرافعى : « وطويت الورقة التى كان يكتب فيها حديثه(١) فقبضت عليها يدى ثم قلت : أفتراك تصرّح برأيك هذا فى سعد لقرائك وإنك لتأكل الخبز فى مدح سعد والتعلق بذكراه ... ؟ قال : فاكتب إلىّ هذا السؤال فى صحيفة من الصحف تقرأ جوابى كما عرفته الآن ... ! »

قال الرافعى : « وابتسمت لقوله ذاك وأجبته : يا سيدى ، إن الرافعى ليس من الحماقة بحيث يسألك هـذا السؤال فى صحيفة من الصحف ، فتنشر السؤال ولا ترد عليه ، فيكون فى سؤالى وفى صمتك تهمة لى ، وتظل أنت عند قرائك حازماً أريباً بريئاً من التهمة مخلصاً لذكرى سعد ! »

قال الرافعى : « وما قلتُ ذلك — وإن ورقته فى يدى أشد عليها بأناملى — حتى تقبض وجهه ، وتقاصت عضلاته ، ثم قال فى غيظ وحنق : ومع ذلك فما لك أنت ولسعد ؟ إن سعداً لم يكتب هذا الخطاب ، ولكنك أنت كاتبه ومزوّره ، ثم نحلته إياه لتصدر به كتابك فيروج عند الشعب ! »

قال الرافعى : « وما أطقت الصبر بعد هذه التهمة الشنيعة ، ولا ملكت سلطانى على نفسى ، فهممت به .. فدخل بيننا الأستاذ صروف ، فدعا العقاد أن يغادر المكان ليحسم العراك ويفض الثورة ! »

***

هذه رواية الرافعى ، حدثنى بها غير مرة فى غير مجلس ، كما تحدّث بها إلى غيرى من أصدقائه وخاصته ؛ فما لى فيها إلا الرواية والتصرف فى بعض الكلام تأدباً مع الأستاذ العقاد وكرامة لذكرى الرافعى

على السفود

وفرغ الرافعى من مقالات عبد الله عفيفى التى كان ينشرها بعنوان (على السَّفُّود) ؛ ثم ذهب مرة لزيارة صديقه الأستاذ إسماعيل مظهر صاحب العصور ، فسأله تتمّة هذه السلسلة فى نقد الأستاذ عفيفى ، فاعتذر الرافعى وقال : حسبي ما كتبت عنه وحسْبه . قال الأستاذ مظهر : فاكتب عن غيره من الشعراء . إن فى هذه المقالات لمثالا يحتذيه الذين يريدون أن يحرروا بالنقد عقولهم من عبادة الأشخاص ووثنية الصحافة !

فتنبه الرافعى إلى شىء فى نفسه ، وجلس إلى مكتب فى دار العصور فكتب مقاله الأول من كتاب على السفود ؛ وتوالت مقالاته من بعد فى أعداد المجلة متتابعة فى كل شهر . فلما تمت هذه المقالات نشرها الأستاذ اسماعيل مظهر فى كتاب قدّم له بمقدمة بامضائه يبين فيها ما دفعه إلى نشر هـذا الكتاب الذى لم يكتب على غلافه اسم مؤلفه ، ورمز إليه بكلمة « بقلم إمام من أئمة الأدب العربى »

وفى الأسبوع القبل إن شاء الله حديثنا عن الكتاب ونهجه

« شبرا » محمد سعيد العريان

***

إلى الأديب أحمد سعد الهوارى بحلوى لأشكر له ، وأعتذر من عدم نشر مقاله ؛ لأنى لا أريد أن يصرفنى عن هـذا الحديث شىء من جدال الرأى فيما لا يغير شيئاً من حوادث التاريخ

(١) كان الرافعى أصم كما يعرف القراء ؛ فمن ذلك كان أكثر ما يدور بينه وبين الناس من الحديث كتابة فى ورق !

مصر وفلسطين

لأستاذ جليل

سمع الناس فى الخافقين منـذ أشهر كلة مصر الإسلامية العربية فى (دار العصبة) فى شأن فلسطين وذلك التقسيم المقطِّع الممزِّق ، وتلوا فى هـذا اليوم كتاب رجال من (دار الندوة) ومجلس الشيوخ فيها إلى سفير الانكليز ، وفى الكتاب ما فيه .

وهذه كلة ذات زئير ونهيم قالها مصر منـذ قرون حين سأل الغرب مثل الذى يبغيه اليوم . وقد رواها (صبح الأعشى) عن (التعريف بالمصطلح الشريف) ، وإنها لتنادى مفصحة مبينة على أن مصر هى مصر فى كل وقت ، وأنها لن تنام عن مظاهرة أخ فى الدين أو العربية مستطاعة . وفى رواية (التعريف) ألفاظ عامية لا تنحط بها قيمتها بل تغليها ؛ وإن كثيراً من الباحثين اليوم ليهتمون بالوقوف على مثلها . وهذه هى الطرفة التاريخية :

«قال فى« التعريف » : أما الرِّيد فَرنسى فلم يرد له إلا رسول واحد أبرق وأرعد ، وجاء يطلب بيت المقدس على أنه يفتح له ساحل قيسارية أو عسقلان ، ويكون للإسـلام بهما ولاة مع ولاته ، والبلاد مناصفة ومساجد المسلمين قائمة ، وإدارات قومتها دارّة ، على أنه يبذل مائتى ألف دينار تعجل وتحمل فى [كل] سنة ، نظير دخل [نصف] البلاد التى يتسلمها على معدل ثلاث سنين ، ويطرف فى كل سنة بغرائب التحف والهدايا . وحسَّن هذا كُتّـاب . . . . . كانوا صاروا رءوساً فى الدولة بعمائم بيض وسرائر سود ، وهم أعداء زرق ، يجرعون الموت الأحمر ، وعملوا على تمشية هذا القصد و إن سرى فى البدن هذا السم وتطلب له الدرياق فعز

وقالوا : هذا مال جليل معجل ؛ ثم ماذا عسى أن يكون منهم وهم نقطة فى بحر ، وحصاة فى دهناء ؟

قال : وبلغ هذا أبى رحمه الله فآلى أن يجاهر فى هـذا ، ويجاهد بما أمكنه ، ويدافع بمهما قدر عليه ، ولو لاوى السلطان على رأيه أن أصنى إلى أولئك الافكة ، وقال لى : تقوم معي وتتكلم ، ولو خضبت ثيابنا بالدم ، وأرسلنا قاضى القضاة القزوينى الخطيب ، فأجاب وأجاد الاسـتعداد ، فلما بكرنا إلى الخدمة وحضرنا بين يدى السلطان بدار العدل ، حضرت الرسل وكان بعض أولئك الكتبة حاضراً ، فاستعد لأن يتكلم ، وكذلك استعدينا نحن : فما استتم كلامهم حتى غضب السلطان وحمى غضبه ، وكاد يتضرم عليهـم حطبه ، ويتعجل لهم عطبه ، وأسكت ذلك النافق بخزيته ، وسكتنا نحن اكتفاء بمـا بلغه السلطان مما رده بخيبته ، فصد ذلك الشيطان وكفى الله المؤمنين القتال ، وردت على راميها النصال ؛ وكان الذى قاله السلطان : وَالْـكم أنتم عرفتم ما لقيتم نوبة دمياط من عسكر الملك الصالح ، وكانوا جماعة أكراد ملفقة مجمعة ، وما كان بعد هؤلاء الترك ، وما كان يشغلنا عنكم إلا قتال التتر ، ونحن اليوم بحمد الله تعالى صلح (نحن وإياهم) من جنس واحد ما يتخلى بعضه عن بعض ، وما كنا نريد إلا الابتداء ؛ فأما الآن فتحصلوا وتعالوا وإن لم تجوا فنحن نجيكم ولوأننا نخوض البحر بالخيل ؛ وَالْـكم صارت لكم ألسـنة تذكرون بها القدس ؛ والله ما ينال أحد منكم منه ترابة إلا ما تسفيه الرياح عليه وهو مصلوب ! وصرخ فيهم صرخة زعزعت قوائم ، وردهم أقبح رد ، ولم يقرأ لهم كتاباً ولا رد عليهم سوى هذا جواباً »

(الأسكندرية) (* * *)

فلسفة التربيـــة

كما يراها فلاسفة الغرب

للأستاذ محمد حسن ظاظا

« ليست الجماعة مجرد علاقات ، ولكنها فى كل منا ، ثم هى ترتفع فى أعظمنا إلى الدرجة القصوى »

« ماك إيفر »

« لو قد نشأ الفرد على المرونة والتجديد : لما استطاعت يد الرجعية الآثمة أن تعوق سير الحضارة ، وأن تعبث بجلال الانسانية » (***)

« ليس فى الطبيعة فرد مطلق غير الله تعالى ، وما الفرد من بنى الانسان إلا جزء من والديه ومن خلية الحياة الأولى بل ومن الانسانية ماضيها وحاضرها »

« برجسن » (وغيره)

الجماعة والفرد

رأيت فيما سبق بعض تطبيقات الديموقراطية ، على الثقافة والمنهج ، والمعلم والطالب ، والمدرسة وطريقة التدريس ، وأحب اليوم أن أكمل الناقص فى ذلك ، وأوضح الغامض ، ولا سيما من ناحية الجماعة والفرد وما ينبغى أن يكون بينهما من علاقة ديموقراطية صحيحة تغرسها التربية الحديثة وتنميها

ما الجماعة وكيف نشأت ؟ اختلف العلماء فى ذلك وتباينوا ؛ ومن أشهر نظرياتهم فى ذلك دعوى « العقد الاجتماعى » التى قال بها « روسو » ومهما يكن من شىء فالجماعة الحق يسود فيها التبادل كما يقول « نوفيكو » ، كما أنها ليست مجرد علاقات أفراد بعضهم ببعض ، ولكنها روح دافع غلاب فى كل فرد كما يقول « ماك إيفر » ، وها هو « هوبهوس » يقول إن الجماعة توجد فى أفرادها ، وإن كل فرد فيها مركز اتصال ، وإن هذا الاتصال يتوقف قوة وضعفاً على الفرد نفسه ويؤثر فيه ، وإن الأفراد إنما يتحسن شأنهم ويرتقى باتصالهم بغيرهم (١)

وقد يبدو للبعض أن الرجعية والبطء فى التطور والتجديد طبيعة فى الجماعة ثابتة ، ولكن الراجح أن التربية العقيمة هى المسئولة عن ذلك كله . ولذلك نرى التربية الديموقراطية تدعو إلى سعة الصدر وحرية الفكر ومرونة العادات ، وتصرح قائلة على لسان (جون ستيوارت مل) : « ويل للزمن الذى لا يجرؤ على الشذوذ فيه إلا الأقلون (١) » !

أما الفرد فهو أنت وأنا أيها القارىء العزيز ! وكم احتُقر وازدرى فى الدهور الغابرة ، وحُرم حرية الفكر والحركة والحياة ، وكم اعتز بشخصيته ، وعلا وتكبر ، واعتبر نفسه مقياساً للأشياء جميعاً من حق وباطل ، وخير وشر ، وجمال وقبح — فى عهد السفسطائيين ؛ ولو شئت الحقيقة فى أمر هذا الفرد لعرفت أنه لا يستطيع أن يكون « مطلقاً » بحال من الأحوال ! وهل من مطلق فى الطبيعة غير الله ؟ سر إلى الصحراء إذا شئت وعش هناك وحيداً إذا استطعت ، فلن تجد « الجماعة » إلا محيطة بك عن يمينك وعن شمالك ومن خلفك ومن قدامك ، ألم ترث عنها ماقد ورثت عن آبائك وأجدادك ؟ ألا تفكر بمنطقها ؟ أولا تهجس بلهجتها ؟ ثم ألا تستفيد من تجاربها العملية فى كل ما تتخذ من سلاح وغطاء ودثار ؟

نحن إذاً مدينون للجماعة حاضرها وماضيها بكل شىء تقريباً وإذاً فلا أقل من أن نعطيها من أنفسنا بعض هذا الدين الذى لو عشنا دهوراً لما وفيناه ؛ ولكن الجماعة مع ذلك مدينة لبعض الأفراد هى أيضاً ؛ ألا يقول « كارليل » ما تاريخ الإنسانية إلا تاريخ عظمائها ؟ وإذا فلا أقل أيضاً من أن تحترم الجماعة الفرد وتشجعه على خدمتها ، وتسمح له بإصلاح ما فيها من عيوب والسمو بها إلى مثله العليا . وإذ كان الجمال فى الفن هو « كثرة » تسيطر عليها « وحدة » كما يرى الأستاذ « كوزن » فى كتابه الفريد : « الخير والحق والجمال » ، فإن (السير برسى نن) يرى أن تاريخ الإنسانية يتطور ويتقدم نحو « الفردية » المتزنة ، وكلما قطع فى تطوره شوطا كلما كانت الحياة أسمى وأهنأ وأرفع وأخصب

وإذا كان الأمر كذلك فماذا عسى أن تكون العلاقة الصالحة بين كل من الجماعة والفرد ؟

يقول هوبهوس « يجب أن تنمو الجماعة وحدة متناسقة فلا يتضخم فيها « فرد » ويصير مارداً على حساب الجميع »

ويقول الأستاذان « ديوى وتفت » إن مقياس كل نظام

---

(١) أنظر .A source Book ,r فصل الجماعة والفرد

(١) أنظر كتاب الحرية للفيلسوف المذكور ترجمة الأستاذ طه السباعى

اجتماعى هو : « هل يجعل قدرة الفرد حرة فى زيادة الخير العام ؟ وهل يسمح بمساواة الجميع فى فرصة إظهار الكفايات ؟ » بل إن (ديوى) ليقف عند كل نظام سياسى أو غير سياسى ليرى أى دوافع يثيرها ؟ وأى أثر له على من ينفذونه ؟ أهو يحرر القوى ؟ وإلى أى حد ؟ وللجميع أو للأقلية ؟ وهل تسير القوى التى يحررها فى طريق معقول ؟ وإذا كان النظام نظام تعليم تراه يسأل « هل يرهف الحواس ويدرب العقول ؟ وهل يثير حب المعرفة فى النفوس ؟ وما هو نوع « حب المعرفة » هذا ؟ أهو عرضى يطفو أم جوهري يغوص ؟[1] » ، وهكذا دواليك..

بقى أن نتساءل وما « المصير » ؟ أإلى ماهو أحسن كما يقول المتفائلون ؟ الواقع أن الجماعة فى تطور دائب مستمر وإن كنا لا نستطيع أن نعتبر كل تطور نجاحاً . وبعد الوقوف على آراء — هوبهوس — وديوى — وفاجيه — وشو — وبود — ومل — وبيرى[2]— فى ذلك الموضوع نستطيع أن نقول: إن « النجاح فى الجماعة ليس أوتوماتيكيا بل يعتمد على الإرادة والقصد ، وإن الهرم فى الأمة يمكن أن يجتنب تماماً بمرونة العادات ، وإن مذهب « إمكان التحسين » خير من التفاؤل البحت أو التشاؤم البحت ، لأنه وحده يبعث على الأمل والرجاء ، ويمنع الغرور واليأس ، وإن « حرية الفكر » هى أهم عامل فى التطور نحو « الأحسن » وخصوصاً إذا اقترنت ببنية بريئة فاضلة ونفوس حازمة عاقلة ، وإن « انحطاط » العهود التاريخية المظلمة ليس غير حقارات أفراد ، وطوائف ، وأحزاب ، وجماعات ، أكثر مما هو حقارات أمم وشعوب . وإذاً فتقدم الإنسان بيده لا بيد الطبيعة الصماء ، وذلك طبعاً أفضل له وأشرف . وهاهو ذا تقدم العلم يقول لنا أن ليست هناك غاية موضوعة ، ولكن هناك ما يمكن أو ما يجب أن يكون

ولكن تُرى من يدفع الجماعة إلى هذا « المصير » ؟ وكيف السبيل إلى ذلك الدفع ؟ يرى « أرسطو » أن ذلك هو واجب الحكومة وسبيله التربية ، ولكن « ديوى » يخشى إشراف الحكومة لأنه يعتبرها أكثر جموداً وتلكؤاً من المجتمع ، ولذلك تراه يعتمد على «الهيئات الحرة» أكثر مما يعتمد عليها ؛ وهاهي ذي الحكومات كثيراً ما تخطىء فى الخطط وتجنى على الديموقراطية جناية نكراء ، ألم تحول إيطاليا المدارس إلى ثكنات عسكرية يحرم فيها النشء من أشياء فى الحياة كثيرة ، ويساق سوقاً إلى نظام تمسق مرذول فرضته سياسة خاصة قوامها الوطنية المتعصبة التى لا يضيرها احتراق بعض العالم ما دام فى ذلك خير لها ؟

* * *

وبعد فتلك هى الجماعة ، وهـذا هو الفرد كما تتصورهما الديمقراطية الحديثة ، جماعة مرنة متجددة ، وفرد حر خادم مطيع ثم تقدم يدفع بهما معاً نحو « الأحسن » قوامه الحرية والنية الفاضلة ... ولما كانت التربية هى الوسيلة الوحيدة الفعالة الجديرة « بخلق » هذه الجماعة وذاك الفرد ، فإنها يجب أن تكون بحيث تستطيع خلقهما خلقاً صحيحاً يقى الإنسانية آفات الرجعية والجمود ، ويوفر عليها حقارات أولئك الذين يسودون صفحات التاريخ ! . ومعنى هذا أن تكون المدرسة مجتمعاً صغيراً تتوافر فيه جميع الأسباب التى تحرر العقول ، وتطهر النفوس ، وتغرس التعاون والإيثار ، وتمهد للمجتمع الفاضل المنشود ... ويتطلب ذلك بالطبع اتباع طريقة فى التدريس خاصة ، والعناية بدراسة معينة ، أو معاملة الطلبة على أساس ديموقراطى مرسوم ؛ ولست تطمع من غير شك فى أن أمر معك بكل التفاصيل . وحسبك أن تعلم أن رياضة الغلبة والتعصب والأنانية والتنافس ، لا تؤدى بنا إلى شيء من هذا كله ، وأن حشو العقول لا يحررها ولكنه يشلها ويبلدها ، وأن الاهتمام بالحروب والاطناب فى سير أبطالها يبرر ما فيها من نهب وسفك وهدم وتدمير لدى الناشئ الساذج البريء ، وأن الدروس الإلقائية التى لا تطبيق فيها ولا تعاون لا تعمل أكثر من تكوين أفراد « لأنفسهم » قبل أن يكونوا لغيرهم ، وأن إعطاء كل شيء للطالب وتوفير مجهود البحث والاطلاع عليه يجعله اتكاليًا عديم الثقة بنفسه والاعتماد عليها . وأن ... وأن ... وأن ... مما قلت وما سأقول ، وما تستطيع أن تدركه أنت دون ذكره أو الإشارة إليه ! كل ذلك لايخلق الجماعة الديموقراطية المرنة المتجددة ، ولا يتمخض إلا عن عقول العصافير ، وإلا عن نفوس علكها الركود والخمول ، وعن طوائف العصبية والانخذال، ونزعات الرجعية والأنانية والشهوة والجمود... وها أنت ذا ترى العالم يمجد سياسة الحروب ويدعو إليها ويجد وا أسفاه من الشعوب جنوداً مثلهم الأعلى الإسكندر وهانيبال

(١) أنظر A source Book (٢) أنظر A source Book

المثل الأعلى للشاب المسلم (*)

للأستاذ علي الطنطاوي

كلما أراد الشاعر الفرنسي الأشهر بول ڤاليري أن يحاضر بدأ بتعريف مدلول الكلمات التي يتألف منها عنوان المحاضرة. وهذه هي عادة أجدادنا، إذا أخذوا في الكلام على علم من العلوم أو بحث من المباحث، فليس عليّ إذن من بأس إذا اتبعتها هذه الليلة، فبدأت محاضرتي بتعريف المثل الأعلى، والكلام على صفات الشباب الأساسية، وتلخيص القول في الإسلام...

إنه ليس فيكم أيها السادة من هو راض عن حالته، مطمئن إليها، وليس فيكم من لا يتصوّر حالة خيراً منها، فإن كان عالماً فكر فيمن هو أعلم منه، وإن كان غنياً تصوّر من هو أغنى. فاذا صار مثل من يتصوّره من الأغنياء، أو يفكر فيه من العلماء، طمح إلى درجة أعلى، ومنزلة أسمى، لا يكاد يبلغها حتى يزهد فيها، ويطمع فيما وراءها. وإذا أنتم استعرضتم أعلم العلماء، وأجمل الفتيات، وأبهى الرياض، وأبرع الصور، وأفخم البنى، لرأيتم الذهن البشرى، يتخيل على أهون سبيل، عالماً أكبر، وفتاة أجمل، وروضة أبهى، وبنية أفخم، وصورة أبرع... ثم يبالغ في التخيل حتى يستقر على مرتبة، ويثبت في منزلة لا يرى فوقها منزلة، فتكون هي المثل الأعلى

فالمثل الأعلى إذن هو أسمى ما يتصوره العقل البشرى... والمُثُل تتعدد بتعدد الناس، فلكل مثله الأعلى في الحياة، وعدد الأشياء فلكل شيء صورته الكاملة، ولكنها تجتمع كلها على افتراقها، وتتحد على تعددها، في أشياء ثلاثة نبه إليها أفلاطون وأخذ بها الناس في كل عصر ومصر، وأجمعوا على إجلالها، واتخاذها مثلهم العليا، وغاياتهم السامية؛ وهنّ: الحق والخير والجمال

هذا هو المثل الأعلى. أما الشباب، وهل أحتاج إلى تعريف الشباب؟

الشباب الحياة، والحياة الشباب، (ورائحة الجنة في الشباب)(١)

خُلِقَ العيش في المشيب ولو كا ن نضيراً أو في الشباب جديده(٢)

الشباب يا سادتي الواحة الفريدة في صحراء الحياة، هو الربيع في سنة العمر، هو البسمة الوامضة على ثغر الزمان القاطب. الشباب في الأمة قلبها الخافق، وعيونها الناظرة، وأيديها العاملة

لست أعني هذا الشباب الغض الغريض، الحلو الناعم، الذي يجرح خديه لمس النسيم، ويدمى بنانه مسّ الحرير، والذي يرق حتى يسيل من العيون نظرات ساحرة مغرية، ويدق حتى يستحيل إلى فكرة تطير كالفراشة بين أزهار الجمال في روضة الحب، أو نسمة معطرة تهب من حراش فتاة فتانة، أو قبلة فيها خمر وعسل تجمع لذائذ الدنيا في رشفة مسكرة... لست أعني هذا الشباب الفاتن المتأنث الذي يسبي القلوب، ويسلب النفوس، ويعيش للهوى والأحلام، ويبدأ تاريخ حياته بالحاء (ح) فلا يلبث أن ينتهي بالباء (ب)...

إنما أعني الشباب الحيّ العامل القوى المتين، الذي وضع له غاية في العيش أبعد من العيش، ونظم نفسه حلقة في سلسلة شعبه، واتخذ له مطمحاً، ومثلاً عالياً، ثم عمل على بلوغه، وسعى إليه باندفاع الصواعق المنقضة، وقوة العواصف العاتية وثبات الطبيعة، وألقى في سفر حياته الراء بين الحاء والباء؛ وهل الحياة إلا حرب دائمة ونضال مستمر، فتنازع على البقاء، وتسابق إلى العلاء

لا يبقى غير الصالح، ولا يصلح غير القوى... هذه هي الحقيقة الباهرة، هذا هو القانون المقدس الذي لا يلغيه برلمان، ولا يعبث به إنسان، ولا يخرج عليه إنس ولا جان ولا حيوان، لأنه من قوانين الله التي كتبها على صفحة الوجود يوم أخرجه من العدم، وقال له كن فكان

(١) أبو العتاهية (٢) البحتري

(*) « خلاصة المحاضرة التي ألقيت في نادي (اتحاد الشبيبة الاسلامية) في بيروت مساء الخميس ٢٦ ذي القعدة سنة ١٣٥٦ الموافق ٢٧ يناير ١٩٣٨ »

وقيصر ونابليون(١)... أفكان ذلك يتأتى لو درس الطفل تاريخ الإنسانية لا تاريخ الوحوش؟

وحسبي اليوم ذلك وإلى اللقاء حيث نرى لوناً آخر من الكلام

(يتبع) محمد حسني ظاظا

مدرس الفلسفة بمدرسة شبرا الثانوية الأميرية

(١) خطب موسولينى يوم أن انسحب من عصبة الأمم، فندد بسياسة جنيف — سياسة الضعف — وطلب من قومه أن يوافقوه على أن إيطاليا أصبحت حربية تمجد القوة، فوافقوه في سيل جارف من الهتاف والتصفيق!!

الجراد يأكل البعوض ، والعصفور يفترس الجراد ، والحية تصطاد العصافير ، والقنفذ يقتل الحية ، والثعلب يأكل القنفذ ، والذئب يفترس الثعلب ، والأسد يقتل الذئب ، والانسان يصطاد الأسد ، والبعوض يميت الانسان ... هذه هي السلسلة الالـٰهية الخالدة لا تبديل لها ولا تغيير . إما أن تقتل الأسد ، وإما أن يقتلك البعوض

فيا شباب ! لا يغلبكم البعوض ، ولـكن اغلبوا الأسود !

***

الحق ثقيل ، ولـكن الحق أحق أن يقال . فأرجو ألا يغضب مَن ههنا ممن يحسبون أنفسهم شيوخاً إن خاطبت الشباب ، وقلت إن المستقبل للشـباب . ولـكن من هم الشباب ؟ يصف أندريه موروا الشباب بالرغبة الأكيدة في حياة العاطفة والحب ، وحياة الحماسة والبطولة ، أي بالمجون والاستهتار ، والميل إلى الإصلاح ، والإخلاص للمبدأ والزعيم ، والاندماج والفناء في المجموع (في الجمعية أو الحزب أو الأمة) وبأنهم أدنى إلى المثل العليا ، وبأن شعارهم الإقدام والتعجل والسرعة وبعض الأناة والانتظار [1] . الشباب بهذه الصفات ، ليس الشباب بورقة النفوس وسجل الميلاد ؛ فـكل من مات قلبه ، وانطفأت شعلة حماسته ، وضاعت مثله العليا ، وأحس بأنه قد بلغ مأمله فلم يعُدْ له أمل ، فهو شيخ ولو كان في العشرين من سنه . وكل من كان له قلب ، وكانت له آمال ومطامح ، وكل متحمس مندفع شاب ولو شاب !

فلا تغضبوا ياسادتي الـكهول إذا قلت إن المستقبل للشباب ، ورفعت من شأن الشباب ، فإن فيكم شباباً ولو ابيضت لحاهم ورءوسهم ، وانحنت ظهورهم ، وتجعدت جباههم . هم شباب العزائم والقلوب ! وهؤلاء الخاملون من الشباب هم الشيوخ . لا تعجبوا ياسادتي ، فلقد كان شوقي شيخاً في مطلع شبابه يوم كان شاعر الأمير ، ثم عاد شوقي شاباً في كهولته يوم صار شاعر الآمال والآلام ، شاعر العروبة والإسلام ...

***

بقي عليّ تعريف الإسلام ، ولـكن من العبث يا سادتي أن أعرّف الأسلام ، وأنا أحاضر قوماً هم بحمد الله مسلمون ، ولا يكون مسلماً من لا يعرف ماهو الأسلام ، ولاصلة له بعلومه ، ولا اطلاع له على أحكامه ، ولا وقوف له على أمره ونهيه ، وعند أمره ونهيه . إن من العبث أن أقول لـكم إن ديننا إيمان وعقائد ، وإسلام وعبادات ، وإحسان وأخلاق ، وسياسة وشريعة ، وإن له في كل جانب من جوانب الحيـاة مصباحاً يضيء ، ومناراً يهدي ، وإنه لا يفارق المسلم أبداً ، ولا يدعه لحظة . إن كان وحده ، منفرداً بنفسه كان معه الاسلام يأمره بأن يحاسب نفسه ، ويتوب من ذنبه ، ويتأمل في بديع صنع الله في نفسـه وفي العالم ، ويسـتدل بالصنعة على الصانع ، وبالأثر على المؤثر . (وفي أنفسـكم) أكبر الدلائل ، وأقوى الحجج ، (أفلا تبصرون ... ؟) أو لا يتفكر هؤلاء الجاحدون (أخلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ؟) . (أو لم يتفـكروا في أنفسهم ؟ ما خلق الله السموات والأرض إلا بالحق وأجل مسمى) ، (أفلا تتفكرون) . وإن كان المسلم في المجتمع كان معه الاسلام ، يبيّن له سبيل الحـكمة ، ويدله على صراط الأخلاق المستقيم . ويأمره بأن يحسن استعمال هذه القوى التي وهبها له الله ، فلا يتبع بها ما ليس له به علم ، (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) ولـكن يستعملها في سبيل العلم ، العلم كله حتى الفلك والجيولوجيا وعلم الأجناس ، هـذه العلوم من آيات الله . ألم يأمر الله بهذه العلوم التي يمنعها بعض مشايخ العصر ؟ قال تعالى : (ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين) ، (إنما يخشى الله من عباده العلماء)

ينظم الإسلام العلاقة الاجتماعية خير تنظيم ، ويبني الأمة أمتن بناء ، يبدأ بإنشاء الأسرة فيجعل لهـا رأساً مسئولا ، له حق الطاعة لينتظم الأمر ، وتتم المصلحة ، وعليه واجب العدل والعمل ، وجعل الرجل هو الرأس [1] لطبيعة تـكوينه وخلقته ونوع عمله وغايته (الرجال قوامون على النسـاء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم) وجعل على النساء

(١) أندره موروا : عن كتاب (طريق السعادة) تعريب سعيد القضماني — وهو مجموعة محاضرات في السعادة والزواج والأسرة — خليق بكل شاب أن يقرأها

(١) ومن آيات الله في ملـكوته أن الرأس لا يكون إلا مذكراً في اللغة وفي الحياة ، ولـكن أكثر الناس غفلوا عن الآيات فأنثوه فقالوا في صحفهم : هذه الرأس ، وقالوا في بيوتهم : هي الرأس !

واجباً ، ولكنه أعطاهن حقاً مثله (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف) ، ورفع من شأن التربية ، وجعل للمربين الأولين ، للوالدين أرفع مقام ، وجعل طاعتهما مقرونة بالتوحيد الذي هو رأس الدين وبيت قصيده ودعامة بيته . قال عز من قائل : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً) ووضع خير القواعد وأحكمها للزواج والطلاق [1] والإرث ، وينظم الاسلام أمور الأمة ، ويقيمها على أساس من الفضيلة والعدل . (قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق) ويشرع لها القوانين الثابتة المحكمة في معاملاتها ، والقواعد الأخلاقية السامية فى علاقاتها الخاصة ، ويدعو إلى ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة والدليل الواضح والبرهان القاطع ، لا بالارهاب ولا بالترغيب . (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً) ودعا المخالفين إلى المحاجة والمناظرة ، وإقامة الأدلة (أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم) (أإله مع الله قل هاتوا برهانكم) . وعاب الاسلام التقليد والجمود واتباع الآباء والأجداد ، وإهمال العقل ، ودفع الناس إلى التفكير ، وإقامة البراهين العقلية والأدلة اليقينية ، أى أنه دعا منذ (١٤٠٠) سنة إلى الطريقة العلمية التى يفخر بها علماء اليوم ويظنونها من ابتكارهم وأثراً من آثار حضارتهم . قال تعالى يذم أهل الجمود وينعى عليهم (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ، قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ؟)

إنكم تعرفون هذا كله أيها السادة لأنكم مسلمون ، وإن من العيب أن ألقيه عليكم فما جئت لأعرف الاسلام ولا أرد تعريفه . ولكن أحببت أن أوجه أبصاركم إلى مسألتين مهمتين :

أما المسألة الأولى فهى أن ديناً يضع للعقل قواعد فى التفكير ، ويشرع للعلم طريق البحث ، وينظم حياة الفرد وحياة الأسرة ، ويكون هو القانون المدنى والجزائى ، والقانون الدولى ، والأخلاق والفلسفة — إن ديناً هذا شأنه لا يصح أن يعد مع الأديان التى لا تتجاوز أحكامها عتبات معابدها ، ولا يجوز أن نطلق عليه ما يطلقونه عليها من أحكام . فاذا قبلنا بمبدأ فصل الدين عن السياسة مثلا وهو مبدأ محترم ، فلا يصح أن نستنتج منه وجوب

(١) لا تفتش عن قواعد الطلاق المحكمة إلا فى كتاب العلامة الشيخ احمد شاكر

فصل الاسلام عن السياسة ، لأن الاسلام ليس ديناً ، ولكنه دين وسياسة . هل تستطيعون يا سادتي أن تحذفوا سورة براءة مثلا من القرآن لأنها سياسة .. ؟ وإن قبلنا مبدأ استقلال العلم عن الدين لأن الدين لا يستند إلى البحث العلمى ولا إلى العقل فلا يصح أن نسحب هـذا الحكم على الاسلام لأن الاسلام ليس ديناً وسياسة فقط . ولكنه دين وسياسة ومنطق وعلم ...

هذه يا سادتى حقيقة ظاهرة ظهور الشمس، ولكن أكثر شباننا لا يرونها ، خفيت عنهم ، وغربت هذه الشمس من أفق تفكيرهم ، فتخبطوا فى ظلام ليل أليل ، فلذلك ترونهم يأخذون كل ما يقوله الافرنج عن دينهم فيطبقونه على الاسلام ، على الاختلاف بينهما ، والتباين بين طبيعتيهما ...

ولعل من هذا الباب تسمية العلماء برجال الدين وإنها لتسمية باطلة فشت على الألسنة وعم بلاؤها ونسى المسلمون أنهم كلهم رجال الدين . دين الاسلام ، دين المساواة والسمو والعمل ، ليس فيه طبقات مميزات من طبقات ، وليس أحد أحق به من أحد ، وليس فيـه جماعة هم وكلاء الله ، يحلون ويحرمون ، وهم أصحابه الأدنون وأهلوه الأقربون ، وغيرهم الأبعدون ، ولكن المسلمين كلهم (أبناء النبى وعترته والفارسيين والصينيين) وكل من قال لا إله إلا الله محمـد رسول الله ... لا فضل لأحد منهم على أحد إلا بالتقوى والعلم والقيمة الشخصية : (إن أكرمكم عنـد الله أتقاكم) (لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى) ... (يا فاطمة بنت محمد ، لا أغنى عنك من الله شيئاً) ...

فلا تقولوا للعلماء رجال الدين، ولا تحملوهم وحدهم واجبات الدين ، فان رجال الدين هم كافة المسلمين . ليس عنـدنا إلا العلم والتقوى ، فمن كان عالماً عظمناه وسألناه ، ومن كان تقياً أحببناه وأجللناه ، ومن أخطأ وحرف رددناه أو ردعناه كائنا من كان ذلك المخطىء وذلك الناقد . ليس الناقد بأقل من تلك العجوز ، وليس المنقود بأجل من عمر !

هذه المسألة الأولى . أما المسألة الثانية التى أحب أن أوجه إليها أنظاركم ، فهى أن الدين على ما يفهمه العلماء من أهل أوربا هو الذى ينظم علاقة الانسان بالله ، وبما خلق الله من المخلوقات المغيبات وراء المادة وبالعالم الآخر ، فلا علاقة له بالحياة السياسية ولا الأوضاع الاجتماعية ، ولا بالقوانين والنظم ، ولا يصح أن تبنى

عليه الجامعة الوطنية . هذا ما يقرره العلماء الذين بحثوا فى هذه الجامعة وطبيعتها وقيمتها ، وفى مقدمتهم (رينان) فى محاضرته المشهورة التى ألقاها فى السربون سنة ١٨٨٢ . وهذا صحيح فى الأديان ولكنه ليس بصحيح فى الاسلام ، لأن الاسلام ذاته وطنية ، ورابطة اجتماعية معنوية ، ليست قائمة على لغة ولا على أرض . ولكن على ما يسميه (أرنست رينان) بالارادة المشتركة ويجعله أساس الرابطة الوطنية . فليس وطن المسلم مكة ولا المدينة ولا البلد الذى ولد فيه ، ولكن وطن المسلم المبادئ الاسلامية ، فحيثما وجدت هذه المبادىء وحيثما كان أهل (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فثمّ وطن المسلم . وعندى أن هذه الرابطة الاسلامية رابطة (إنما المؤمنون إخوة) معجزة من أعظم معجزات الاسلام لأنه أقر منذ أربعة عشر قرناً المبدأ الذى اهتدى إليه العقل البشرى سنة ١٨٨٢ م وسار منذ أربعة عشر قرناً فى الاتجاه الذى يسير فيه العالم اليوم . لقد سقط اليوم مبدأ القوميات الذى دعا إليه الرئيس ولسن بعد الحرب ونهضت المبادىء الفكرية الاقتصادية ، فانقسم العالم كما ترون إلى جهات ثلاث : الديموقراطية والشيوعية والفاشية . وكما أن الشيوعى الفرنسى أخو الشيوعى الروسى ولو تناءت الديار وتباينت اللغات واختلفت الأجناس فكذلك المسلم أخو المسلم ، أينما كان وكيفما كان . وكما أن الفاشىّ الايطالى أقرب إلى الاسبانى الفاشى من أخيه الاسبانى الشيوعى فكذلك المسلم الهندى أقرب إلىّ من غير المسلم ولو كان عربياً هاشمياً قرشياً !

وليس هذا مجال البحث فى الجامعة الاسلامية ، وطريق تحقيقها ، فان لهذا البحث موطناً آخر[1] وما أردت إلا لفت أنظاركم إلى هذه الناحية من الاسلام ، لأقول بأن الشاب المسلم لا يستطيع أن يندمج فى أى رابطة دولية تقوم على أخوّة غير الأخوّة الاسلامية ، ولا يقدر أن يدعو إلى أى رابطة قومية أو جنسية لأنه ليس من المسلمين من دعا بدعوة الجاهلية ..

« البقية فى العدد القادم » على الطنطاوى

(١) وإن هذه الجامعة التى تستقر اليوم فى قلوب المسلمين عقيدة من عقائد الدين الأول ، وأملا من آمال الحياة السامية ، ستغدو فى الغد القريب حقيقة واقعة مشاهدة ، وقد بدت بوادرها فى اتجاه مصر العظيمة إلى الاسلام ، ورجوعها إلى الدين ، يقدمها أمير المؤمنين الملك الصالح (فاروق) أعز الله به الدين وحقق فيه آمال المسلمين

نظر ونقد

شعراؤنا فى موكب الزفاف

كان زفاف الفاروق حرسه الله بهجة غمرت جنبات مصر ، وهزت شعور أبنائها على اختلاف طبقاتهم بالجذل والسرور ، فنهضوا يتسابقون فى إعلان جذلهم وسرورهم بشتى المظاهر والظواهر ، فإذا مصر من ذلك فى صورة رائعة من الواقع رجحت الخيال ، وأصغرت مالها من الأشباه والنظائر فى التاريخ ، وأزرت بما يمثله القصص الموضوع عن « الليالى الملاح » فى ألوان الترف والنعيم ، واشتمال الأنس والصفاء ، ومسارة العقل فيما أبدع ، وجمال الفن فيما نوّق ؛ على أنها تنفرد فى هذا كله بجلال الاخلاص ، وصفاء الحب ، وروعة التمجيد . وسيكون للتاريخ من ذلك صفحة وضاءة مشرقة ، لم تكن له فى الأيام الخالية ، أخشى أن يطالعها الناس فيما بعد فيقولوا : إنها تلفيق الخيال ، وصنيع الكذب ، كما نقول نحن فى ليالى ومحافل ألف ليلة وليلة وأشباهها من القصص المختلق

لقد شهد المصريون جميعاً ذلك اليوم ، وامتلأت نفوسهم وقلوبهم بروعته وجماله ، واستطاع كل فرد وكل جماعة أن تعبر عن شعورها بذلك أوضح تعبير وأجله ، فكان اليوم فى كل مناحيه ومظاهره يوم الشعراء ؛ الشعر يبدو فى مجاليه ، والحسن يزهو فى حواشيه . هو دنيا تفيض بالجمال والجلال ، وشمس تشع على الكون نور البهاء والرواء ، فأينما سرحت النظر وجدت حفزاً للشعور ، وإرهافاً للإحساس ، وتزكية للعواطف ؛ والشعراء كما نعلم أوفر الناس شعوراً ، وأرهفهم إحساساً ، وأزكاهم عاطفة ، تلك هى مواهبهم التى تميزهم عن سائر الناس ، وتطوّع لهم الصناعة الشعرية دون غيرهم ، فكان لا بد أن تفيض نفوسهم بما رأوا توافق كلها الإحساس بالجمال والجلال ، وأن يجرى شعرهم بما فى نفوسهم أوزاناً صادقة منسجمة هى لحن الزمن الباقى على الزمن ، ونغمات الأجيال المتعاقبة على كر الدهور

على هذا الاعتبار كان الشعر سجلاً خالداً لحوادث التاريخ ،

وعظائم الدهر، وروائع الأيام ؛ وعلى هذا الاعتبار اندفع الشعراء قديماً يتحدثون عن زفاف المأمون إلى بوران ، وهو زفاف له فى التاريخ خبر مشهور ، وهو يشبه زفاف الفاروق فى كثير من الأفراح والمعالم ؛ وعلى هذا الاعتبار أيضاً انتظرنا وانتظر الناس ما وراء شعرائنا فى اليوم الحافل ، والزفاف الذى لم يعهد مثله فى عصر من العصور ، وقلنا : لعلهم يتركون فى ذلك للأجيال المقبلة صفحة قوية بروعة التصوير وإبداع المعانى ، وجمال الأسلوب ، وانسجام الخيال ، وسلامة الذوق

ولقد قال شعراؤنا فى يوم الزفاف ما وسعهم القول ، ففاضت أنهار الصحف بكثير من الكلام المقفى الجنبح الأشطار مقدماً بالتقاريظ والتزكية ، وأقيمت حفلات متعددة « أراق » فيها الشعراء على « مناضد » الشعر ما أعدوا لذلك من كل « خريدة عصماء » رسم حدودها الخيال وياله من خيال ... ونسق وشيها الذوق وإنه لذوق ... وأبدع معانيها العقل وأى عقل ... وقد سمعنا الجمهور يهتز لكل ذلك طرباً ، ويصفق من العجب تصفيقاً عانياً مدويا أدمى الأكف ، وصك المسامع ، وأضجر الأعصاب . ولو كان الحكم الأدبى ومقاييس الشعر هى على ما يرى الجمهور وتقدّر الصحافة لكان شعراؤنا على ذلك قد بلغوا الذروة التى لا تطاول ، ولكان شعرهم آية الابداع والاختراع ، فمن حقه البقاء والخلود والإجلال والتقديس ، ومن الواجب علينا أن نعتز به ونفاخر ، وأن نكتبه فى « القباطى » ونعلقه بأستار ... بأستار ما لا أعرف ! !

ولكن الحكم الأدبى فى تقدير الفن والأدب إنما هو للذى يستطيع تعليل حكمه كما يقول العقاد . فاذا عجز عن الحكم استطاع أن يعلل عجزه بكلام سائغ فى الأفهام ، ولا يكون ذلك إلا ناقد ذو ثقافة أدبية واسعة ، وطبيعة فنية موهوبة، ونظر مميز فاحص . فهو الذى يمكنه أن يميز الجوهر من الخزف ، والدر من الصدف ؛ وهذا التمييز هو المعول عليه فى التقدير الحق ، وهو الحكم الأدبى الصحيح الذى يرمقه المعنيون بدراسة التواريخ الأدبية للأمم والأفراد ، ثم هو الذى سيبقى على الزمن على حين تطير الفواقع والقواقع ، وتموت التقاريظ الأدبية الرخيصة ، فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض . وأنت أبقاك الله تعلم حق العلم أن حكم الناقد إنما يكون له هذا المقام من الاجلال والاكبار والتقديس والتقـدير إذا ما تجرد من الهوى والميل ، وتنكب التدليس والتمويه ، وارتفع عن الارتباطات الشخصية وعلاقات الصداقة ، وكان القصد فيه الحق للحق ، والفن للفن والانصاف مجرداً عن كل غاية ومأرب ، فان الأمور الشخصية والميل مع الهوى شر مامنيت به أعمال الخير فى كل عصر ومصر ، وشر ما منى به النقد الأدبى فى مصر على الخصوص ، وشر مامنى به الأدب فى جميع نواحيه على تقدير صحافتنا سددها الله إلى الرشد ، فكان من وراء هذا أن ساء ظن الناس فى أهل الأدب والنقد ، وأصبح وجود الناقد الحر فى اعتقادهم كوجود الغول والعنقاء والخل الوفى !

ولقد انتوينا أن نتناول شعر الزفاف بالنظر والنقد على ما يتفق وحرمة النقد البرىء ، وكرامة الفن المهذب ، ومهمة « الرسالة » الشريفة . سنقول للمحسن أحسنت ، وللمسىء أسأت . سننظر إلى ما قيل لا إلى من قال ، لا نخضع فى ذلك إلا لوازع الضمير وسلطان الحق ، ومعايير الفن . ويعلم الله لقد حفلنا لذلك ما وسع الجهد ، فسبقنا إلى كل حفل ؛ ونهضنا إلى كل جمع ، واستمعنا وقرأنا كل ما قيل وما نشر حتى ما لا يستحق أن يسمع ولا أن يقرأ . ولعلنا بهذا العمل نكون قد سجلنا على صفحات الرسالة ، وهى سجل الأدب الخالد ، لوناً طريفاً من ألوان الأدب لا يخلقه إلا المناسبات الطيبة ، والفرص السعيدة ، وما أقلها فى تاريخ الأمم ، وما أندرها فى حياة الأفراد

ولا أكتمك الحق إذا قلت لك إن شعراء الزفاف قد قصروا عن الشأو ، وقعدوا دون الغاية ، وخيبوا الأمل ، وكان الأمل فيهم كبيراً ، وخذلوا الشعر وكنا نرجو للشعر على أيديهم نصراً مبيناً !! الأمر الذى جعلنا نعتقد اعتقاداً صحيحاً أن الميدان قد خلا من بعد صاحب الشوقيات ، وأن الشعر عند شعرائنا تلفيق وشعوذة وصناعة احتطاب على حد تعبير الرافعى رحمه الله ، فليس هناك إلا إحساس ضئيل إن دل على شىء فانما يدل على أن فى نفس صاحبه شاعرية كنبوة مسيلمة ...

لقد كان يوم الزفاف حافلاً بمعالم الزينة والبهجة ، يفيض كما قلنا بالجمال والجلال ، والبهاء والرواء ، فكان فى كل منظر

شعر ، وفى كل مظهر سحر ، وفى كل وضع فن ، فلو فاز ذلك اليوم بشاعر كابن الرومي أو شوقى لربح الشعر والفن ؛ ولكن كل هذا لم يكن له مع الأسف أدنى أثر فى إحساس شعرائنا ، فطاروا بخيالهم إلى عنان السماء ، يصفون النجوم وجمالها ، والأفلاك ومداراتها ، وراحوا يُنْطقون الطيور بالسجع ، والعنادل بالتغريد ، وقفزوا إلى الرُبى قد غطاها الزهر والنور وما فى مصر شبه رابية من ذلك ! واهتموا كثيراً بداوود ومزماره ، وعنوا جميعاً أن يُذكرونا بيوم الحشر والنشر ، وكأنهم لم يعرفوا من سجايا المليك إلا الذهاب إلى المساجد وصباحة الوجه فوقفوا عند هـذا الحد وما زادوا ! ! ثم هم قد جروا على طريقة لا تُرضى فى الأسلوب الشعرى . يريد بعضهم أن يقوى فيتعجرف ، ويروق لبعضهم أن يلين فيسخف ؛ أما الإحساس بما كان من بهجة الزفاف ، وروعة الزينة ، واشتمال الصفو ، وفرح الشعب ، وتزاحم المواكب ، وعرض الجيش ؛ وأما الملك يبادل شعبه على هذا كله حباً بحب ، وعطفاً بعطف ، كل هـذا لا نجد له ذكراً فى شعر الزفاف . فكأن غاية القول عندنا أن نترسم السابقين فى إحساسهم وخيالهم وأسلوبهم ، لا أن نقول كما نحس وعلى ما نرى وبما نسمع ! !

إن شعر الزفاف فى الواقع قد جاء فاقداً للخصائص المميزة ، وهي لا شك كل شيء فى الشعر خصوصاً شعر الوصف والمديح . فمن السهل جداً أن يحول ذلك الشعر إلى حفل آخر ، ومن السهل جداً على شعرائنا أن يقصدوا به إلى أى موقف . فلو وقفوا مثلاً فى يوم عيد الميلاد الملكى المقبل ينشدون شعرهم هـذا لجمهور لصفق لهم الجمهور وقرظتهم الصحافة . أليس من الزول كما يقول المعرى أن يقف أحد أولئك الشعراء فيلقى مطولة فى حفل حافل وكلها تمجيد لجلالة الملك وإشادة بأخلاقه وليس فيها ذكر للزفاف ولا أى خبر عنه ؟ ! ومن يدرى لعل ذلك الشاعر كان قد قال قصيدته هذه فى عظيم من قبل ، ولعله ينوى أن يقولها فى عظيم من بعد ! وقديماً دخل أحدهم على سلم الخاسر فوجده يعمل قصائد بعضها فى رثاء أم جعفر وأم جعفر باقية ، وبعضها فى مدح رجال لم تعين أسماؤهم بعد ! فقال: ماهذا ياسلم ؟ قال: وما أصنع يا أخى وقد تحدث الحوادث فجأة فيطلب إلينا القول ولا يرضى منا إلا الإجادة !!

ولكن ما عذر شاعرنا وزفاف الفاروق لم يكن فجأة وإنما كان حديث الناس منذ زمن طويل يتسع لكل شيء

نحن لا نتجنى على الحق ، ولا نحب أن نلقى الكلام على عواهنه ، ولكن نحب أن نشرح ونطل ، وأن نقدم الأمثال والشواهد ، ولذلك آثرنا أن نقف مع كل شاعر على حدة فنقرر ماله وما عليه ، وموعدنا بذلك المقالات الآتية إن شاء الله

« م . ف . ع »

أناشيد صوفية

جيتـــانجالى

للشاعر الفيلسوف طاغور

بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب

— ٩٧ —

سأزينك بالرايات والأكاليل علامة غلبتك على ؛ فما كان فى قوتى أن أدفع عن نفسى الهزيمة

لا ريب ، فكبريائى قد عُصف بها ، وحياتى تصدعت عن آلام مبرّحة ، وقلبى الخاوى تفجر عن لحن موسيقى كأنه اليراع المثقب ، وهذه الأحجار الصماء ستحور عبرات

لا ريبَ فى أن أوراق زهرة اللوتس لن تظل متماسكة أبد الدهر ؛ وأن رحيقها المكنون سيبدو فى وقت ما

ومن خلال السماء الزرقاء ستحدق عين فىَّ ثم تناديني فى صمت ، فأنفض عنى كل شيء ... كل ما أملك ... ثم أتقبل القضاء المحتوم عند قدميك

— ٩٨ —

حين ألقى بالدفة من يمينى ألقى بها لأنه يكون قد آن لك أن تديرها أنت ، وسيتم كل ما تريد فى لحظات ، وعبثاً هذا الجهاد

إذن ألقِ السُّلم — يا قلبى — واصبر فى صمت على ما مُنيت به من إخفاق ، وثق بأنه من حسن حظك أن تستقر هادئاً فى مكانك ... مكانك الذى حللت

إن مصابيحى تنطفىء عنـد كل هبة نسيم ، وإنى لأنسى ذلك حين أنطلق أضيئها

غير أنى سأكون — فى هذه المرة — حازماً ، فأظل فى غسق الظلماء ، أنشر فراشى على الأرض ؛ وإذا طاب لك هذا — يا سيدى — فتعال إلىّ فى صمت ، واتخذ لك مجلساً بإزائى

— ٩٩ —

لقد اندفعت إلى أعماق بحر الأشباح علّى أجد الدرة الكاملة التى لا شكل لها

لن أبحر — بعد — على قاربى المحطم من مرفأ إلى مرفأ ؛ فما أطول الأيام حين أقضيها بين أمواج تتقاذفنى !

والآن ، فأنا أستشعر فى نفسى الشوق إلى أن أغتمر فى الخلود .

سأندفع إلى مجلس السمر ، حيث اللجة ما لها من قرار ، وحيث الموسيقى تتصاعد مختلطة فى غير نغم ... سأندفع إلى هناك وبين يدىّ قيثار حياتى

سأوقع عليها ألحان الأبدية ، وحين آتى على آخر لحن ألقى بها عند قدمى السكون

— ١٠٠ —

لقد أفنيت عمرى أفتش عنك بأغانىّ . إنها هى التى قذفت بى من باب إلى باب ، ومن خلال نبراتها لمست كل ما حولى ، فانكشف أمام عينىّ العالم ، فأحسست به

إنها أغانىّ هى التى علّمتنى كل دروس الحياة ، وهى التى كشفت لى عن مسالك غامضة ، وحسرت لى عن كواكب تتألق فى أفق قلبى

وهى قادتنى إلى مفاوز فى عالم من السرور والألم معاً ؛ وأخيراً ، ما ذا عسى أن يكون باب هذا القصر الذى دفعتنى هى إليه والليل ناشر أستاره ، فوقفت بإزائه وقد تمت رحلتى ؟

— ١٠١ —

إننى أباهى صحابتى بمعرفتك ، وهم يلمسون شعاعك فى كل ما أعمل فيندفعون إلىّ يسألون : « من عسى أن يكون ؟ » فما أدرى بماذا أجيب ... ثم أقول : « حقاً ، إننى لا أستطيع قولاً » فيتهكمون علىّ بكلمات لذّاعة ثم ينصرفون عنى فى ازدراء ، وأنت جالس هناك تبسم

وصغتُ أحاديثى عنك فى أناشيد يتدفق فى ثناياها السر الدقيق من قلبى ، فاندفعوا إلىّ يسألون : « خبّرنا عن معانى حديثك » فما استطعت حديثاً ... ثم قلت : « من عساه أن يعرف ؟ » فابتسموا فى تهكم ثم انصرفوا عنى فى ازدراء جامح ، وأنت جالس هناك تبسم

— ١٠٢ —

فى تحية واحـدة إليك — يا إلٰهى — دع كل حواسى تنطلق فتلمس هذا الكون عند قدميك

وكما تتعلق سحائب يوليه وقد أثقلتها القطرات المكفوفة ، دع قلبى ينحنى عند بابك فى تحية واحدة إليك

واجعل أغانىّ تنتظم كل الألحان المتضاربة فى تيار واحد ثم تتدفق إلى خضم السكون لتكون تحية واحدة إليك

وكما ينطلق سرب من الكراكى وقد أممته القرية... كما ينطلق فى دأب ونشاط — صباح مساء — ليبلغ أعشاشه على قنن الجبال ، دع حياتى تتخذ طريقها إلى مستقرها الأبدى لتكون تحية واحدة إليك (تمت) كامل محمود حبيب

من أدب العصر

بين ديكي وكلبي

للشيخ حسن عبد العزيز الدالي

ديكي العزيز !

بقروش فوق الستين اشتريتك يا ديكي العزيز ، بعد بحث طويل عنك في الأسواق . وما أكثر الديكة من إخوانك أيها الديك ، ولكن قليلاً منهم ما يشبهك . وأين من الديكة جمال ريشك ، وطول عرفك ، وثقل وزنك ، وخفة روحك ؟ صفات ما اجتمعت قبلك في ديك . فأنت الذي كنت أبحث عنه في الأسواق بذاته وعينه وخصوصيته ، حتى عثرت بك !

وعنيت بأمرك يا ديكي كل العناية ؛ فأفردت لك جناحاً خاصًّا تسرح فيه وتمرح ، فتنفش ريشك الأخضر الجميل ، وتخفق بجناحك الزاهي المدود ، وتدلي عرفك الأحمر الطويل ، وتكركر بصوتك الموسيقي الصادح : كُرْ كُرْ كُرْ ... ...

بيدي كنت أقدم إليك الطعام في الأطباق الصيني في وجبات منتظمة الميعاد ، شهية المذاق ، مغذية سائغة ، استعداداً ليومك المعهود بعد ثلاثة أسابيع ، يوم تُزَفُّ في الصحفة الكبيرة ، لتكون عشاء العروسين في ليلة الزفاف . أيّ شرف كنت أعدّ لك أيها الديك ؟ ولكن ...

ليت شعري ماذا أصابك أيها الديك ... ؟ لقد كنت في زيارتك أمس بعد الغروب ورأيتك وأنت تقفز بخفتك ونشاطك إلى العريش الذي اتخذته لك بيتاً عند ما يجن الظلام ... ويلي منكم يا معشر الديكة ! لا يفارقكم الزهو والخيلاء : ففي النهار كرٌّ وفرٌّ وعُجْبٌ وكبرياء ، وفي الليل لا يرضيك أن يمس جنبيك التراب فتأبى إلا العلاء ... ؟ بَلَى ، رأيتك أمس يا ديكي في خفتك ونشاطك ، وعافيتك وصحتك ، وحوصلتك مملوءة ، وعرفك ريّان ؛ فماذا دهاك في الصباح يا ديك ؟

يا أسفا وقد غدوت عليك لأقدم إليك الفطور بيميني فإذا أنت جثة هامدة ، ملقى على الأرض ، معفر بالتراب ، تحت السرير الذي ارتقيته أمس مزهوًّا أمام عيني !

لقد أحزنني مرآك يا ديك على هذه الحال ، وبجوارك ذلك الكلب الصغير « بيتر » الذي أصفاك الود منذ حللت الدار !

ما بك من جرح أيها الديك يُظن أن صديقك الأمين قد أحدثه بك في ثورة طيش ، وما بك رضٌّ يحتمل أن يكون من جراء سقوطك من مرقدك في غفوة حلم ؛ وهذا مكانك دافئ لا إمكان لأن ينالك فيه برد ... إذن فماذا ... ؟

لا بد من تشريح الجثة لمعرفة سبب الوفاة . ليس في الأمر جريمة على ما أعتقد وأرى ! أهي سكتة قلبية ؟ أهي ذبحة صدرية ؟ أهو تصلب في الشرايين ... ؟ ليتني أعرف يا ديكي العزيز ... !

يا للقدر ! لقد كنا نأمل أن يكون تشريحك بين العروسين في ليلة الزفاف ، فكيف يطاوعني قلبي أن أبدلك منهما مبضع الطبيب البيطري ... !

* * *

هذا صديقك « بيتر » يهز ذيله في حيرة ، وينكت الأرض برجليه في ألم ، ويعوى من قلبه في صوت مبحوح . ماذا يريد يا ترى ؟ أيطمع أن يرشدنا إلى القاتل وليس هناك جريمة ؟ أم يريد أن يقوم هو بعملية التشريح وتمزيق اللحم بعد ما أصبح الديك لا يصلح للعروسين ، أم ... أم هو يبدي الحزن على صديقه الفقيد ويريد أن يحفر له قبره بيده ...؟

من يدري أي سر يحتمل في صدر هذا الحيوان ! لقد تركناه لحاله وما فهمنا قصده ، واتجهنا إلى هذا الفقيد نفكر فيما نصنع به ، وأخيراً شيعناه بنظرة وداع ، وعقدنا العزم على أن نجعله طعاماً لبيتر . ما أشد ظلم الإنسان للحيوان ، حتى على الموت ! لقد قطعنا فخذ الديك فنزعنا ما بها من ريش ، ثم جعلناها وجبة الطعام لبيتر ... ولكن ... ياعجبا ! إن بيتر يأبى أن يأكل من لحم صديقه الذي مات ، على شهوته وجوعه . ها هو ذا يعمد إلى الريش المنزوع فيجمعه بفيه ثم يغطي به هذه الفخذ العارية . لقد قام الكلب بواجبه ، فكفّن صديقه في أثوابه وواراه التراب !

يا للوفاء ! الكلب يأبى أن يأكل لحم صديقه ميتاً وإنه لا يعف عن طعام ، والانسان — ويلي على الانسان ! — والانسان لا يتعفف أن يأكل لحم أخيه .. إن في الكلاب لنُبلاً وشهامة .. !

لله أنت يا بيتر ، وفي ذمة الله يا ديكي !!

حسن عبد العزيز الدالي
عمدة كفر ديمرة القديم

معاودة الذكرى

تحفة من الشعر الغنائي الرائع

للشاعر الراوية الأستاذ أحمد الزين

عاوَدَ القلبَ حنينُهْ   مَن على الشوق يعينُهْ
ويح قلبي من غرامٍ   هاج بالذكرى كَمِينُهْ
يا لخفّاقٍ إذا ما   قَرَّ هزّته شُجونُهْ
واصلٌ مَن صَدَّ عنه   صائنٌ من لا يصونه
خانه الصبر ولولا الصدُّ ما كان يخونه
يا زمانا لم تكن إلاّ   هُنَيهاتٍ سنينه (1)
كنتَ رَوضاً حالياً بالوصل قد رَفّت غصونه
حُلُمٌ إن يَمْحُه الدهرُ ففى الذكرى تصونه
كلّما منّاه ظنٌّ   عاد باليأس يقينه
آه لو تدرين ما بي   ضاق بالقَيْد سَجينه
إنّها تدرى ولكن   لصبا الغيد فُتونه
أنتِ لى كلُّ شئونى   ويلَ من أنتِ شُئونه
كان لى دمعٌ فمالى   جَفَّ من دمعي مَعينه
مَن لصَبٍّ غَدَر الوا   فِي به حتّى جفونه
سكن الليلُ فما للقلبِ يجفوه سُكونه
كلّما ظَنّ سُلُوًّا   كَذَبتْ فيه ظنونه
لا أذودُ الحبَّ عن قلبي ولو شَقَّ وَتِينَهُ
كم فنونٍ ذاق في الحبِّ وللحبِّ فُنونه
فليَذُق ما شاء منه   ما رَعَى العهدَ أمينه
أيها اللائم دَعْهُ   فلَهُ في الحبِّ دِينُهْ

أحمد الزين

(1) كذا ، ولعلها على رأى من يعرب (سنين) بالحركات

الضياء

للأستاذ أمين نخله بك

هذه القصيدة أهديت يوم نظمت إلى « مدموازيل كلير » ومن المحزن كثيراً أن تكون « مدموازيل كلير » قد غرقت في ضمير الفناء — في أرض فرنسا ، على حين أن الأدب العربي يستقبل اليوم « الضياء » فيطرب لها ويتلألأ بها ، وصاحبتها التي من أجلها ألفت قوافيها وجمعت ألفاظها غائبة عن الدنيا في عتمة عميقة

فلتكن هذه القصيدة ، إذن ، ألطف زهرة على ألطف تراب في أرياف « إيل ده فرانس » البعيدة ... قال الأستاذ نخله :

عاش لنا الصبحُ ، ومات المساء   في الصبح ألقاكِ، وألقى الضياء !
كأنّ لطف الله ، سبحانه   زحزح عند الصبح ذاك الغطاء
فالحمد لله على نعمةٍ   تشمل حتى لون خيط الهواء !

* * *

إن الظلام المرتمي لجة   أعمق غوراً من ضمير الفناء ..
يبتلع الدنيا على رحبها   ويمسح الحسن ، و يطوى الرواء
لولا الضياء السمح ما اخضوضرت
منابت العشب ، ولا ازرقّ ماء !
في دورة الجدول حمدٌ له   وفي الأفانين عليه الثناء
ما العيشُ لولا الضوء، ما لونه!؟   ما نضرةُ الرغد ، وصفوُ الهناء؟!

* * *

يا ضوء مشمشعٌ، أنت عيدُ الضحى   عيدُ الشعاع الطلق، عيدُ الفضاء
يا ناسجَ السحبِ على نوله   أحسنتَ، فاسحبْ ذيلها ما تشاء
يا كاسيَ السنبلِ من عسجدٍ   اخلعْ على الكرمة هذا الكساء!
إن الدوالى ، وعناقيدها   سخيّةٌ، فاسكبْ لها عن سخاء
يا ضوء ، يا أنس المغاني ، ويا   بشائر الخير ولمع الرجاء
لك الحبورُ الذهبيّ ، الذى   راح على الوادى صباحاً وجاء!
رُبَّ شعاعٍ منكَ شكَّ الدجى   فقام بالجرح ، وفي الفجر ناء
خلِّ الدجى يبكي على ملكه   مقطّب الوجه ، حوالى السماء!

* * *

من مبلغي من معمعان الهوى   دفقة ضوء ، لا يليه انطفاء
أغرقُ في النور حبيبي ، وفي   زواخر الوهج وسكب البهاء..

أمين نخله



ما بعد الطبيعة

الحياة

للسيد محمد حسن البقاعي

— ٢ —

إن الإنسان ليتساءل فيقول : ما هو أساس الحياة ؟ تُرى هل هو نموّ الحسّ وحركاته وألمه وعضويته ؟ فهذه المسألة لا يمكن الجواب عليها إلا بالاستعانة بالعلم والفلسفة . على أن البحث في الحياة ليس إلا التفتيش عن الحي هل هو ناشيء عن مادة أو هل الحياة الموجودة في الجسد مُحَصِّلة لأمور مادية أم خاضعة لمبدأ روحي عقلي ؟

ولعمري إن الغوص في بحث الحياة وسبر غورها ليتطلب البحث في النظريات التي وضعها الفلاسفة من القرون الأولى حتى عصرنا الحاضر . وهذه النظريات على نوعين :

(١) النظريات الآلية Mècanisme

(٢) النظريات الحركية Dynamisme

أما خلاصة ما يقوله واضعو النظريات الآلية فهي : إنه من الممكن تعليل الحياة بالخواص الموجودة في كل نوع من أنواع المادة ، أي يمكن تعليل الحياة بالحركة التي تصحب المادة . فقد قال (فاندال) : « ليس تشكل نبات أو حيوان أو تبلور إلا حادثة ميكانيكية لا تختلف عن قضايا الميكانيك الاعتيادية إلا أن العناصر فيها بسيطة جزئية » على أن كيفية الحركة مركبة ، فهي تعلل كل شيء بالمادة ، مثال ذلك : تركيب الماء من (H^2o) ليس هو إلا تركيباً مادياً ويدعمون نظريتهم هذه بسلسلة من الأدلة الطبيعية

الدليل الأول : إننا نستطيع إرجاع كل شيء من مظاهر المادة إلى حركة ، فالحرارة والنور يرجعان إلى اهتزاز وحركات فلِمَ لا نعتبر الحياة مثلها ونرجعها إلى الحركات ؟

الدليل الثاني : إن مبدأ (لافوازيه Lavoisier) المشهور ، والمعروف بمبدأ حصانة المادة وبقاؤها لخير دليل على أن الأجساد الحية لا يوجد فيها شيء غير المواد الكيميائية التي تنتج بتحليلها تحليلاً كيميائياً ، إذ أننا لو وزنّا المواد الحاصلة بعد التحليل الكيميائي ووزنا الجسم المحال قبل ذلك لوجدنا هنالك تعادلاً

الدليل الثالث : كلنا يعلم أن التركيب الكيميائي يعطي مركبات ذات خواص لا توجد في العناصر المركبة ، فتركيب كلور الصوديوم (cl Na) من الكلور والصوديوم يكسب المركب خواص مغايرة لخواص كل من عنصريه (cl) ؛ (Na)

فلِمَ لا تكون الحياة مركباً ناشئاً من مركبات مختلفة ؟

الدليل الرابع : لقد سمحت لنا التجارب الحديثة بمشاهدة بعض المماثلات والمناسبات الغريبة بين بعض صور الموجودات الحية وبين صور بعض الأجسام البللورية ؛ فمن هنا نرى أنه يمكن إيضاح الحياة ميكانيكياً مثلها

ولكن هذه الأدلة لم تسلم من الاعتراض ؛ فقد اعترض عليهم بعض الفلاسفة فقالوا : (إن العلماء حتى اليوم لم يستطيعوا أن يركبوا الحياة) غير أن هذا الاعتراض يستند إلى أساس أوهى من بيت العنكبوت . وهذا الأساس ليس إلا تلك التجربة التي قام بها (باستور) وأثبت عدم إمكان التوالد العضوي . فاذا لم يوصلنا العلم حتى الآن إلى تركيب جسم حي فلا بد أننا في المستقبل نستطيع ذلك . على أن كلام باستور : (إن الحي لا يتولد إلا من الحي) لا يمكن أخذه كمبدأ أساسي مادام العلم في ارتقاء وتقدم مستمرين ، وها هو (ليبنز Léibniz) يقول : إن كل شيء في العالم يحدث ميكانيكياً . ولكن يجب أن نرتقي إلى مبدأ أعلى ، وهو المبدأ الميتافيزيكي ليتجلى لنا إيضاح الميكانيكية نفسها : على أن في الحياة نظاما واتساقا خاصا لا يمكن

تعليله فى الحياة الميكانيكية فقط ؛ مع أننا لا ننكر أن كثيراً من الحوادث الحيوية يمكن تعليلها بالحوادث الميكانيكية . فقد قال (كلود برنارد Claude Bernard) : ليس تكوّن الجسم الحيوى من مجموعات عناصر كيميائيه هو كل ما تمتاز به ، بل هو الحياة أى القوة الحيوية التى لا توجد فى الكيمياء ، كاتجاه أعضائنا كل منها إلى غاية كغاية القلب وغاية المعدة ... فنحن فى هذه النظرية فى عالم الافتراض ؛ لذلك نقول : إن كلاً من هاتين النظريتين : الميكانيكية والديناميكية تستطيع دحض الأخرى وتقويضها

ولقد اعترض (هنرى برغسون H. Bergson) على نظرية الميكانيكية فقال : الحياة كلها إبداع فهى مبدعة : أى أن تيار الحيـاة يأتى دائماً بالجديد . فالحوادث الحيوية فيها عدم تنبؤ (Imprèvisibilité) ولا يمكننا أن نتنبأ بأن الأحفاد فيهم صفات الأجداد ، وهذا ما يدعونا إلى عدم إيضاح الحياة

وزيادة على ذلك فإن الحوادث الحيوية الموجودة فى الجنين لا يمكن إيضاحها بصورة ميكانيكية : فنرى أن الشبكة العينية عند ذوات الفقرات ناشئة عن اتساع القسم الدماغى فى الرشيم الحديث بينما هى عند النواعم مشتقة من الأدَمة أى من الخارج بصورة مباشرة لا بواسطة الدماغ . ومن هنا نرى أن العضو الواحد فى حيوانات مختلفة لا يتشكل من نفس العنصر . والسبب فى ذلك لا يمكن تعليله بالعناصر الميكانيكية فى الرشيم ولا بشروط الإقليم والبيئة الموجود فيها الرشيم . فتجدنا مضطرين إلى افتراض مبدأ مسيطر أى غاية واتجاه . وإذا اعترضنا على الميكانيكية والحركية هل نصل إلى شاطىء الصواب ؟ كلا ! فلا يسعنا لحل هذه المسألة إلا الرجوع إلى نظريات غير الحركية والآلية علنا نقرع باب الحقيقة ونلمسها بأناملنا العشر . فلنبدأ بذكر النظرية الحيوية (Vitalisme) فنقول : إن أصحاب هذه النظرية هم لروه (P. Leroux) وبارتس) وكافة أطباء مدرسة (مونبيليه) وهم يعتقدون أن الحياة لم تنشأ إلا عن مبدأ خاص لا روح ولا شىء آخر ، بل هو مبدأ حيوى وسط بين الروح والجسد ... وقد تتجلى للقارىء قيمة هذا التعليل بمجرد ذكره فهو بدلاً من أن يوصلنا إلى حل هذه المسألة ؛ أوجد لنا معضلة أخرى لذلك فان الحيويين مثل (بروسن) و (كابانيس Cabanis) وغيرهما من مدرسة باريس غيروا رأيهم فقالوا : ليست الحيـاة ناشئة عن مبدأ مفارق للجسد والروح ؛ ولا عن خواص المادة . بل هى ناشئة عن خواص معينة حيوية من نوع ثابت معين موجود فى الجسد ، أى أن المادة فيها خاصة الحياة عدا خواصها المعروفـة . وإذا عرّجنا الآن على نظرية العضوية القائلة : (إن الحياة هى وجود الأعضاء فى الجسم على هذه الصورة فهذا الوضع هو الذى أكسبها خاصة الحياة) نجد أننا لم نزل فى غياهب جهل بحقيقة الحياة ؛ بل كدنا أن نرتبك أكثر مما كنا فيـه . إذن فلنبحث الآن فى النظرية النفسية (Psychologisme) وهى النظرية التى تقول : (النفس مبدأ الحياة الاساسى) . فالحياة تفارق الجسد عند مانفارقه النفس ، وهى مبدأ العقل أيضاً فإننا نجد علاقة صحيحة بين الحياة العاقلة والحياة المادية أى أن مبدأ العقل هو مبدأ الجسد . ويثبت أصحاب النظرية النفسية رأيهم هذا بوجود الوحدة فى الجسد بالرغم من هذه الكثرة ، فبما أن فى النفس غاية واحدة فهى إذن المبدأ الأول للحياة

ولا يمكننا إيضاح هذه الوحدة وهذا التناسق إلا بهذه الغاية الموجهة ، ألا وهى النفس . على أننا لا نعرف بأية صورة تؤثر الروح فى الجسد ؟ وهذا الأمر شغل كثيراً من علماء النفس وعلماء الاجتماع والفيسيولوجين ، ولم يستطيعوا التوصل إلى حل معقول . فنحن إذن لا نزال فى عالم الفرضيات ؛ أضف إلى ذلك ما يعرضه بعض الفلاسفة على أصحاب هذه النظرية من الأسئلة ، فقد قالوا : إذا كانت النفس لها تلك القدرة التى يسندونها إليها — أى هى التى تحمى الجسد — فلماذا تتركه يفسـد فيزول أو يمرض ؟ وكيف توضح الحوادث التى تحدث فى الجسد بعد مفارقة الروح له كأن يطول الظفر بعد الموت وينمو الشعر ؟ وماذا تقول إذا علمنا أن بعض البوليب التى تعيش فى المياه الحلوة إذا قطعت بصورة عرضية ، أى إذا شطرت شطرين ، يكون كل شطر منهما ذا حياة جديدة ويعيش ؟ ألم يقرروا أن النفس لا تنقسم ؟ إننا نجد هذه النظرية لا تخلو من الصعوبات أيضاً .

ولقد وضع (داروين وكروسى) نظرية دعيت بالنظرية الروحية الكثيرة العناصر الحيوية فتقول : (الحياة ناشئة عن الروح والجسد معاً أى عن عنصرين . فلا يعتبر الجسم مادة عاطلة لاحياة فيها ، بل هو مستعمرة لحجيرات كثيرة كل منها لها حياتها الخاصة ؛ والنفس توجد هذه الحياة الكثيرة العناصر وتوجهها

إلى جهة واحدة)

فهذه النظرية لم تكن أسعد حظًّا من رفيقاتها السابقة ، بل هي لا تختلف عن نظرية مدرسة مونبيليه من حيث توضيحها للحياة بالحياة نفسها

وفى ختام هذا البحث لا يمكننا إلا القول : الحياة هى قوة إلـهية كامنة بثها الله تعالى فى الموضع الذى خصصه لها وهى كل جسم صالح للحياة . وقد تبين لنا أن العقل البشرى منذ القرون الأولى إلى العصر الحاضر لم يكتشف كنهها ، فهو إذن عاجز عن إدراك الحقيقة النهائية للحياة ، ولعل الله يكشف لبعض الأدمغة الواسعة عنها فيخلص طائفة كبيرة من عناء التفكير فيها ويردعهم عن الوقوع فى الزلات الجسيمة وارتكاب الأخطاء العظيمة

(انتهى بحث الحياة ويليه بحث الروح)

« دمشق » محمد حسن البقاعى



أقصوصة حكيمة من جولد سمث(1)

الجندى الاجذم(2)

للأستاذ دريني خشبة

يجهل نصف الناس كيف يعيش نصفهم الآخر ! !

تلك ملاحظة عامة شائعة ؛ بل ليس فيما يلاحظ الناس أكثر منها شيوعاً . . . وهى مع ذلك ملاحظة صادقة ؛ فهموم العظماء ما تلبث أن تفشو وتفشو ، وتذيع أنباؤها حتى تصبح ملء الأسماع ، وملء الأفواه ، وحتى تصبح أحبها قبة ، وحصر منها عتبة ؛ وذلك بما يعطها به الرواة ، وما يضفون عليها من الزخرف الزائف ، والبهرج العقيم ... ويبتعث هذا فى نفوس المهمومين طائفاً من الزهو فيلتذون همومهم ، ما دامت تجعلهم أبطالاً فى تقدير الأغرار

هذا ، وليس فخراً أن نحتمل الرُّزء فى ثبات ، وفى جلد ليسا طبيعةً فينا ، ولا أصلاً فى جبلتنا ، بل هما صدًى للخُيَلاء التى يثيرها فينا إعجاب الناس بنا ، واستعظامهم لنا

أما العظيم حقاً ، فهو الذى ينزل بساحته الخطب فيصمد له ، ولا يحفل به ، فى حين لا خِلٌّ فيواسيه ، ولا صديق فيشجعه ... بل .. ولا بارقة من أمل تُسرِّى عنه ... ذلك رجل ينبغى علينا احترامه ، ويجب أن نتخذه لنا قدوة ، مهما يكن ... من السوقة هو ... أو من علية الناس

ياما أتعس حظ الفقير ! !

إن الرجل الغنى إذا أصابته ضراء ، وقد لا تكون من الضراء فى شىء ، تناقل الناس ضراءه ، فهولوا بها ، وأفاضوا فيها ، بينما يُرزأ الفقير بأضعاف ذلك فلا يلتفت إليه أحد ، ولا يعتدّ به مخلوق ... وإن مصيبةً واحدةً من مصائبه فى سحابة يوم لترجح مصائب العصبة أولى الحول من السادة العظماء فى حياتهم جميعاً ...

إن من أصغر جنودنا وبحارتنا العاديين مَنْ إن ينزل به الخطب لا تتصور فدحه عقولنا ، فيصبر له فى عظمة وتسليم وإيمان ، دون أن يشكو أو يتململ ، أو يتسخط على قضاء الله ، ودون أن يُشهِد الناس ! ... هذا ... وقد تكون أيامه كلهن نوازل يأخذ بعضها برقاب بعض

لشد ما كنت أضيق ذرعا بأوفيد وشيشرون ورابوتين

(١) من أحسن الكتاب والشعراء الانجليز ، وأمتعهم وأغزرهم فكرة وأعمقهم فلسفة ، هو أوليفر جولد سمث ، وقد حال دون انتشار أدبه فى اللغات الأخرى قوة أسلوبه ، وصعوبة ترجمته إلى لسان آخر ... وقد حرصنا على أن تكون أقصوصته هذه صورة صادقة منه ، فلا يهولن القارئ هذه المقدمة الطويلة التى قدم بها لقصته ، فمقدماته كمقدمات شو ، أحسن من قصصه .

(٢) الأجذم : الذى بترت يده أو أصابعه

حينما كنت أقرأهم فأراهم يشكون ويبرمون ويتسخطون ، ويندبون حظهم العاثر ، وطالعهم النحس . ، . ولـماذا ؟ ؟ لأن أحدهم لم تسعده المقادير بزيارة هذا المكان أو ذاك ، مما وقر في باله أنه كان حرياً لو قطف ثمار السعادة فيه .. وليس هذا الهم من الهموم إلا سعادة صرفة إذا قيست بما يجرعه البائسون من غصص الحياة كل يوم ...

لقد كان أولئك يحيون فى بلهنية وسعة ، يحف بهم حشمهم ، ويسجد تحت أقدامهم خدمهم ، لا يحملون هماً من هموم المادة ، ولا يبالون كلفة من كلف الحياة ... كل هذا بينما كان كثيرون من بنى جلدتهم يجوبون الآفاق فى ظمأ ومسغبة ، لا يكادون يجدون الكن الذى يدرأ عنهم عاديات الجو وتقلباته ...

كل هذه الخواطر دارت بخلدى حينما لقيت فجأة ، ومنذ أيام خلت ، رفيقاً بائساً كنت أعرفه إذ أنا صبى ؛ يطوف فى أزقة المدينة وهو يتكفف الناس ، وقد جعل يقزل[1] برجلين إحداهما من لحم وعظم ... والأخرى من خشب ... ومن فوق كاهله سترة بحار بالية ، يتوكأ بها على عكازة نابية

وهالني أن أراه قد آل إلى هذا المآل ... فلقد كنت أعرفه أميناً دائباً شديد الدؤوب إذ كان يعمل فى الريف ... فبعد أن دست فى يده ما هو حسبه ، رغبت إليه فى أن يقص علىّ قصة حياته ، وطرفاً من أنباء مأساته ... وأرسل صديق الجندى الأجذم ، وقد كان جندياً حقاً وإن بدا فى ثياب بحار ، أظافره تعيث فى جلدة رأسه ، ثم اتكأ على عكازته ، فعرفت أنه يجمع أشتات الذكريات التى تتألف من أمراسها قصته ، والتى ساقها فى حديث طويل طلى هكذا :

« لا أستطيع أيها السيد أن أدّعى أن مصائبى قد فاقت مصائب سواى ، أو أننى لقيت من العنت ما لم يلق غيرى ، إذ أننى ، فيما عدا هذه الساق المبتورة ، وتلك الأصابع المجذومة ، وما اضطررت إليه من المسألة والتكفف ، لا أجد والحمد لله ما أشتكى منه ! ! وإن هذا زميلى تبز الذى فقد ساقيه جميعاً ، وإحدى عينيه ، والذى أقعده كل ذلك عن السعى وراء رزقه ... فأين أنا مما آل إليه ؟ شكراً لله !

ولقد ولدت فى شبشتير ، ومات أبى — وكان من العمال — ولما أبلغ الخامسة بعد ، فأرسلت إلى ملجأ إحدى الكنائس ذوات الضياع ... ورفض القساوسة أن يبقوا علىّ لأننى لم أستطع أن أنتسب لديهم ، ولأننى لم أستطع أن أخبرهم أين ولدت ؛ ومن لى بهذا وأبى — وقاك الله ! — كان رجلاً آفاقياً ، لا ينتهى من تطواف إلا إلى تطواف ! وقذفوا بى من أجل هذا إلى ضيعة كنيسة أخرى ، فأرسلتنى بدورها ، ولنفس الأسباب ، إلى ضيعة ثالثة ، فرابعة ، فخامسة ، وهكذا دواليك ، حتى حسبتنى أقضى الحياة فى هذا التشرد الطويل دون أن أستقر ، لولا أن تغلبت مروءة الانسانية آخر الأمر ، فخجلت إحدى الكنائس أن تطردنى من ضيعتها ، فبقيت ثمت ، وألحقت بكتابها لأتعلم الهجاء ، بيد أننى وا أسفاه لم ألبث به طويلا ، إذ آنس فىّ معلم المصنع الملحق بالكنيسة جسماً يافعاً وذراعاً مفتولة لا أيسر عليها من حمل الدق والمطرقة فاختارنى لمعاونته فى عمله ... وبقيت هناك خمس سنوات كانت أسعد فترة فى حياتى لسهولة العمل ، وطراوة العيش ، وإقبال الزمان ... ذلك أننى لم أكن أعمل كل يوم أكثر من عشر ساعات (!) ، ومع ذلك فقد كنت أعطى نصيباً وافراً من اللحم والشراب يتناسب مع مجهودى الضئيل ، ومع أننى كنت أشتهى لو قضيت حياتى كلها ثمة فانهم كانوا يحبسوننى داخل الكنيسة ، بحيث لم يسمحوا لى قط أن أعدو وصيد بابها ، خشية أن أفر إلى ملجأ آخر ... ولا أدرى لـماذا كانوا يظنون مثل هذا الظن ، والكنيسة كلها كانت رحلاً لى ، وحوشها[1] الكبير أمرح فيه حيث أشاء ...

« ثم نقلت بعد أن شببت إلى مزرعة مجاورة لأعمل فيها من مطلع الفجر إلى غسق الليل ، ثم أعود إلى الكنيسة لأنام ، وكنت أحمد الله على أن يسر لى أمر طعامى وشرابى ، وعلى أن حبب إلىّ عملى الذى كنت أقبل عليه فى رضى وقناعة ... ولـما مات المعلم الذى لزمته طوال هذه المدة ، كان طبيعياً أن أهجر الضيعة لأشق طريقى فى الحياة بنفسى ، ولأكدح فى سبيل رزقى فرحت أزرع الأرض ، وأنتقل من قرية إلى أخرى ، وأشبع إذا لقيت ما أعمله فأوجر عليه ، وأجوع إذا لم ألق عملا حتى أوشك أن أقضى من الطوى[2]

(١) قزل من باب فرح وضرب مشى وتستعمل للأعرج فقط

(١) الحوش كلمة عراقية وهو شبه الحظيرة والمصريون يستعملونها بكثرة

(٢) الطوى بالفتح الجوع

« ثم حدث أن كنت ماراً ذات يوم في طريق وسط مزرعة لحاكم الاقليم فلمحت أرنباً برياً يرتع ويلعب ويقضم العشب ، فوسوس الشيطان فى صدرى أن أحذفه بعصاى ... ففعلت ... وقصمت ظهره ، ثم هرولت إليه لحملته وأنا فرح بهذا الصيد ، وما كدت أمضى حتى لقينى الحاكم صاحب المزرعة نفسه وانطلق يسبنى ويلعننى ، ويرمينى بكل موبقة ، ويشتمنى فيقول ويقول ... ثم أمر بالقبض على ، وإحضارى أمامه لأثبت شخصيتى وليرى إن كنت متشرداً أو جوّاب آفاق ... وقد وقفت أقبل الأرض بين قدميه وأترضاه وأستعطفه ، ثم جعلت أسرد له ما أعرف من أرومتى ونشأتى وآبائى ، حتى لم أبق شاردة ولا واردة إلا قصصتها . ولكنه وا أسفاه تجهم وقال : إنى لم أستطع أن أثبت له شخصيتى .. ثم حوكمت بعد هذا - أعاذك الله - بتهمتين عجيبتين ، أما إحداها لخرق قوانين الدولة بما قصمت ظهر الأرنب ، وأما الأخرى ... فلأنى فقير معدم ... لا أمامى ... ولا ورائى ! وأرسلونى إلى نيوجيت بلندن لأننى من أرض الوطن فى زمرة المجرمين والمتبطلين

« وبالرغم مما يزعمه الناس عن الحيـاة في السجن ، فلقد وجدته لطيفاً ظريفاً كما وجدت أى مكان غيره فى العالم .. وماذا غير أن يأكل الإنسان ويشرب ملء بطنه ، وينام ملء عينيه ، دون أن يعمل عملاً ما ... ! لعمرى لقد كنت أوثر أن أبقى هناك إلى الأبد ، لو لم يأخذونى بعـد خمسة أشهر إلى الميناء ، حيث شحنتُ أنا ومئتان غيرى من ذوى البطالة فى فلك كبيرة ، ما لبثت أن همت بنا فى موج كالجبال إلى مزارع المستعمرات وراء البحار وقد تركونا لكثرتنا الهائلة ننام فى ممر ضيق بين القمرات [1] ، فاختنق من اختنق ، وعاش من عاش ، وكانوا يقذفون بمن مات فى اليم ليدفن فى بطون السمك ، وتالله لقـد دفن فيها نصفنا أو يزيد ... أما من نجا ، فقد اعتل جسمه وخارت قواه ، وهزل هزالاً شديداً

« وبلغنا الشاطىء ، وباعونا كالرقيق للمزارعين ، وظللت أفلح الأرض مع العبيد ، ولو قد تملت الهجاء لنجوت من حمارة الشمس الاستوائية ، ولقمت بعمل أسهل ... ولا أطيل عليك ، فلقد لبثت في عملى المتصل سبع سنين سرحنا بعدها وهفا القلب إلى الوطن ... واشتاقت النفس إلى انجلترا الأم التى أهواها من كل قلبى ، وأخلص لها الحب من أعماق ، فلبثت أياماً أفكر فى الأوبة وأعدّ لها عُدّتها ، وحرصت على ألا أقع فيما وقعت فيه من قبل من تهمة البطالة والتشرد ، فلم أذهب قط بعيداً عن حدود المدينة ، بل رحت أذرعها مشرقاً ومغرباً وأنتظر يوم الرحيل ... واستمنت بأداء بعض الأعمال التافهة على التوقّى من أعين الشرطة

وكنت أشعر بسعادة عميقة أثناء هـذه الفترة التى تسبق عودة النازح إلى أرض الوطن ... ولكن ... حدث ما لم يكن قط فى حسبانى ، فبينما كنت عائداً أدراجى من بعض عملى إلى منزلى ، إذا رجلان قويان يلكمانى لكماً كاد يحطم رأسى ، وإذا بى أهوى إلى الأرض فى غير وعي ... حتى إذا أفقت إذا هما يأمرانى أن أنهض ثم إذا هما ينطلقان بى إلى الحاكم الذى يطلب إلى ما يثبت شخصيتى ! حتى إذا عجزت هذه المرة كما عجزت فى الأولى ، تُرك لى أن أختار إحدى اثنتين لا ثالثة لهما ، فإما أن أنطلق من فورى فأعمل بحاراً على ظهر مركب يوشك أن يبحر أو أن أنضوى إلى صفوف الجند فأحارب أعداء المملكة ... ولم يكن بد من أن أختار الجندية التى شعرت فيها بكرامتى خصوصاً بعـد أن حاربت فى وقعتين كبيرتين هما معركة الفال الخالدة ، ومعركة فونتنوى التى لن أنساها ما حييت ... ولم يمسسنى ضر فى أى منهما ، اللهم إلا جُرح هنا ... فى هذا المكان الرحب من صدرى ، استطاع طبيب فرقتنا الحاذق النطاسى أن يشفيه سريعاً

« وبعد أن وضعت الحرب أوزارها ، ودخلنا فى السلم كافة ، سُرّح كثير من الجنود فكنت منهم ... ولم أستطع أن أضطلع بالأعمال الشاقة التى كنت أحتملها من قبل ، لأن جرحى كان ينْغَل[1] أحياناً فيؤلمنى ويقعدنى عن أى عمل ... ثم انضممت إلى جيش شركة الهند الشرقية لحاربت الفرنسيين في ست معارك دامية ، أبليت فيهن جميعاً بلاء حسناً ، ولو كنت قد أسعدنى الحظ فثقفت بالكتابة والقراءة لارتقيت إلى مرتبة (أونباشى) ... وشاء الجد العاثر أن يلم بى مرض يقعدنى عن الحياة العسكرية القاتمة ، فيهيج فى قلبى حنينه القديم ، وفى نفسى توقها إلى الوطن ؛ فأنتوى الأوبة من جديد ، وإن فى جيبى لأربعين جنيهاً

(١) القمرة حجرة فى السفينة لم نقف عليها فى المصادر العربية ولعلها رومية

(١) نغل : الجرح من باب فرح فسد

حمراً رنانة ... وكان ذلك فى إبان الحرب الحاضرة ؛ وكم كنت أحلم أحلاماً لذيذة سعيدة إذ أنا على ظهر الفلك ، وأفكر فى كيف أنفق هـذا القدر غير القليل من الذهب الوهاج ... وكانت الحكومة فى حاجة ماسة إلى الرجال ، فلما أهابت بأبناء الوطن انضويت إلى الصفوف وأنا فى عرض البحر ، فعملت بحاراً فى إحدى وحدات الأسطول ، من غير أن تكون لى أية دراية بأعمال السفانة الحربية ولا غير الحربية ... وطالما اتهمنى الربان بأنى أعرف من الأعمال البحرية ما أنا تخفيه ، إيثاراً للعمل الحربى في البر ، فكان يضربنى ضرباً مبرحاً لم يكن يخفف من أوجاعه فى نفسى إلا الأربعون جنيهاً التى ادخرتها واكتنزتها فى جيبى ، والتى كثرتها بما ضممت إليها مما كنت أقتصد بعد

وقد ضلت سفينتنا مرة ، فأسرتنا وحدة بحرية فرنسية ... وبهذا — وا أسفاه — خسرت نقودى كلها ... ... ونزلنا إلى البر فى ميناء برست ، ولم يحتمل رفاق الملاحون زهمة السجن وهواءه الخانق ، فمات أكثرهم ... أما أنا فقد بقيت فيمن بقى ؛ ويبدو أن ما تعودته من الحياة فى أشباه هذا السجن ، قد جعلنى أحتمل ما لم يحتمل زملائى

وبينا كنت نائماً على أرض السجن ، وأنا ملتفع بغطائى الدافئ ، إذا بى أستيقظ على صوت الربان الذى جعل يلكزنى لأصحو ... وقال لى فى صوت خافت ، وهو يحمل مصباحاً أخفت من ضوئه : « جاك ! جاك ! هل لك فى أن نحطم رأس (الديدبان) لنلوذ بالفرار يا صاحبى ؟ ! » ولم يكن أحب إلىّ من أن أفعل . فوافقت على هذه المجازفة التى رغبها إلى كراهيتى للفرنسيين ، الذين أعدهم أمة من العبيد ... والذين لا يلبسون فى أرجلهم إلا (القباقيب !)

ولم يكن معنا سلاح ما ... بيد أننا كنا على ثقة دائماً من أن إنجليزيا واحداً يسعه أن ينتصر على عشرة من الفرنسيين . . . وهكذا انطلقنا إلى حيث انكمش الحارسان فى ركن بعينه من البرد ، فانقضضنا عليهما ، وانتزعنا منهما سلاحيهما ، ثم حطمنا رأسيهما ، ولذنا بالفرار إلى الشاطئ ... ولحق بنا تسعة ممن بقى من أسرانا ، فركبنا زورقاً كبيراً ، وأبحرنا من فورنا

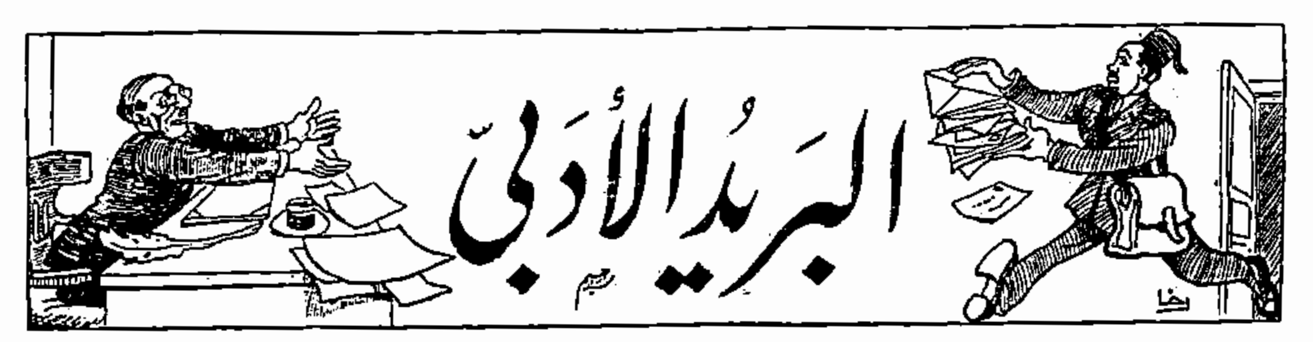
« ولبثنا نصارع الموج ثلاثة أيام سوياً ، حتى أضرّ بنا الجوع ، وأوشك أن يهلكنا الظمأ . . . ثم اقتربنا من مركب كبير فحسبنا أن يد العناية قد أرسلته إلينا لتنشلنا مما نحن فيه .. فإذا هو مركب من مراكب (قراصين) البحر استطاع رجاله أسرنا . . . وكم كان فرحهم بنا عظيما ، لأننا أيد عاملة تنفعهم فيما هم بسبيله من أعمال القرصنة .. وقد رضينا نحن بالعمل معهم ، إذ كان لا بد مما ليس منه بد .. ولم يكن حظنا بساماً هذه المرة ، فلقد شاء سوء الطالع أن نشتبك فى قتال بيننا وبين ال (بومبادور) القوية التى يملك قراصينها أربعين مدفعاً صالحة كلها للعمل ، بينا لم نكن نملك أكثر من عشرين وثلاثة مدافع . . . ومع ذلك فقد قاومنا ما وسعنا أن نفعل ، بل بدا لنا أننا نرى النصر قاب قوسين أو أدنى ، فى نفس اللحظة التى تمت هزيمتنا فيها ... وعلة ذلك كثرة من قتل من رجالنا ، وقلة الأيدى التى لم يكن يسعها أن تعمل المدافع كلها لنحوز النصر ...

« وهكذا شاءت المقادير أن أكون مرة أخرى فى قبضة الفرنسيين ... ولشد ما فزعنا أن يرسى بنا ثانيةً فى برست ، إذن ما كان جزاؤنا إلا القتل هناك... لكننا رسونا في ميناء أخرى ، فنجونا ... وقد نسيت أن أذكر لك أننى فقدت إحدى ساقىّ ، وأربعاً من أصابعى ، وأصبت بأربعة جروح كبيرة فى هذا القتال الهائل ... أواه يا سيدى ؟ ! أواه لو أسعدنى الحظ فكنت قد فقدت هذه الساق وتلك الأصابع فوق بارجة من بوارج الوطن ... ؟ ! إذن لكفلتنى الحكومة ، وحبست على معاشاً كاملاً طوال الحياة ... ولكن ... ! ما حيلتى ؟ إن من الناس من يولد وفى فمه ملعقة من فضة ، وإن منهم من يولد وفى فمه مغرفة من خشب ... ! ! على أنه مهما يكن من أمرى ، فإنى أحمد الله القدير الذى حبانى عافية وصحة ، ووهبنى النعيم والحرية ورزقنى محبة بلادى ... بلادى ذات المجد ... إنجلترا ... إنجلترا الأم ... عاشت انجلترا ! »

* * *

ثم مضى عنى ، وغادرنى فى حيرة من رضاه بما هو فيه ، وتسليمه الجميل لما صنع الله ! ! حقاً ... إن التمرس بالبؤس يعلمنا كيف نستهين به ، أضعاف ما تعلمنا ذلك الفلسفة ! !

دريني خشبة



مؤتمر المواصلات السلكية واللاسلكية

وهذا مؤتمر دولي آخر يعقد في القاهرة ويفتتحه جلالة الملك « فاروق الأول » ، هو المؤتمر الدولي للمواصلات السلكية واللاسلكية ؛ وهو رابع مؤتمر دولي يعقد في القاهرة في هذا الفصل بعد مؤتمر الرمد الدولي ، ومؤتمر توحيد قانون العقوبات ، ومؤتمر القطن الدولي ؛ وقد أشرنا إليها جميعاً في حينها . ويعتبر مؤتمر المواصلات السلكية واللاسلكية الذي عقد في أول فبراير الجاري من أعظم المؤتمرات التي عقدت في مصر في الأعوام الأخيرة إن لم يكن أعظمها جميعاً ، فقد مثلت فيه ثلاث وستون دولة وهو أكبر عدد من الدول اجتمع في مصر في مؤتمر واحد . ويرجع ذلك إلى أهمية المسائل التي يعالجها المؤتمر ، وإلى أهمية الدور الذي لمصر بفضل موقعها الجغرافي الفريد في المواصلات اللاسلكية . وقد كانت مصر في مقدمة الدول التي أدخلت فيها المواصلات الحديدية والتلغرافية ، وهي اليوم في مقدمة الدول التي يحتم عليها موقعها الجغرافي بين قارات العالم القديم ، وظروفها الدولية الخاصة ، أن تكون من أعظم مراكز المواصلات اللاسلكية في العالم

وقد جرى جلالة الملك في افتتاح هذا المؤتمر على سنته المشكورة التي استنها ، وهي افتتاح المؤتمرات الدولية التي تعقد في مصر باللغة العربية ؛ وألقيت أيضاً خطبة الافتتاح الرسمية من وزير المواصلات بالعربية ؛ وهذا تقدير كريم للغة البلاد وتشريف يبعثان إلى الغبطة والحمد

مؤتمر طبي عربي

يعقد في التاسع من فبراير الجاري بمدينة بغداد ــ كما ذكرنا من قبل ــ مؤتمر طبي عربي دعت إلى عقده في العاصمة العراقية الجمعية الطبية المصرية ؛ وسيتفضل صاحب الجلالة ملك العراق بافتتاح هذا المؤتمر الذي سيعقد في قاعة الحفلات الكبرى بسراي أمانة العاصمة ، ويستمر عقده أيام عيد الأضحى ؛ وقد هرع إلى شهود هذا المؤتمر عدة من أكابر الأطباء المصريين وأساتذة كلية الطب ، وفي مقدمتهم علي ابراهيم باشا وسليمان عزمي باشا ؛ وكذلك بادر إلى شهوده جماعة كبيرة من أطباء الأقطار العربية الشقيقة ، من فلسطين وسورية والحجاز

وسيكون عقد هذا المؤتمر العربي فرصة جديدة لتقوية أواصر الثقافة الطبية والاجتماعية بين مصر وشقيقاتها

في مملكة سبأ

أذاعت بعض الصحف الخارجية أخيراً بعض بيانات أفضى بها الرحالة المستشرق الانكليزي المعروف المستر سنت جون فيلبي المعروف بالحاج عبد الله ، والذي يقيم في جدة منذ أعوام طويلة ، وتربطه بالملك ابن السعود صداقة متينة — عن اكتشافاته لآثار مملكة سبأ في « الربع الخالي » . وكان قد حاول اختراق هذه المنطقة قبله رحالة فتى ألماني يدعى هانز هلفريس ، ولكنه وقع في أيدي البدو ، ثم بعث به إلى الشاطئ ؛ ومع ذلك فقد استطاع أن يلتقط بعض صور فوتوغرافية مدهشة ، منها صورة أطلال مدينة حصينة على رؤوس الجبال ، وبها أبنية متهدمة عالية ترتفع عدة طبقات ، وآثار أطلال ضخمة تضارع الأطلال الفرعونية في روعتها ؛ فحفزت هذه الصور بعض العلماء المغامرين إلى محاولة اختراق « الربع الخالي » ؛ وكان الحاج عبد الله فيلبي بمركزه في المملكة السعودية ، واعتناقه الإسلام ، ومعرفته الواسعة للغة العربية ولهجات القبائل ، أسبقهم وأقدرهم على أداء هذه المهمة ؛ فجهز في العام الماضي قافلتين إحداهما من السيارات والأخرى من الجمال ، واخترق الصحراء الغربية من مكة إلى المكلا عاصمة حضرموت ، ثم عاد غرباً نحو اليمن ، واخترق اليمن من الجنوب

إلى الشمال ؛ واستطاع أثناء رحلته الشاقة أن يقوم باكتشافات أثرية هامة ، وأن يحقق الأسباب التاريخية والجغرافية التي أدت إلى خراب مملكة سبأ ، وفي رأيه أن هـذا الخراب يرجع إلى عاصمة مملكة سبأ التي كانت تحيط بها سلسلة من البراكين الثائرة ، وأن الزلازل هي التي قضت عليها منذ نحو ألفي عام ، كما قضت على مدينة بومبياى الرومانية الزاهرة ، وبذلك أمحت مملكة سبأ من صفحة التاريخ

وقد أثارت رحلة الحاج فيلبي واكتشافاته اهتماماً في جميع الأوساط العلمية والأثرية

رابطة دولية للكتاب

تألفت في لوزان جمعية أدبية كبيرة لحماية الكتاب وترويجه باسم « رابطة الكتاب » ، وانتظم فيها عدد كبير من أكابر الكتاب والمفكرين مثل رومان رولان وجورج دوهامل واندري جيدوغيرهم ، وقد وصف دوهامل أغراض هذه الجمعية في مقال ذكر فيه « أنها تقوم بمهمة بديعة ، لا في سبيل ترقية ذوق القراء لدى جمهور عظيم من الناس فحسب ، ولكن أيضاً في سبيل إذكاء ثقافة إنسانية عاليـة ، ومن ثم فانها غدت تضم صفوة المفكرين في أوربا »

وتعنى رابطة الكتاب الدولية عناية خاصة بحماية الذوق الثقافي بعد أن جنت عليه جهود الراديو والسينما ، والصحافة الاخبارية السطحية ، وبعض الناشرين الذين يتجرون في الأدب الرخيص ، وإعادة الكتاب القيم إلى مركزه الرفيع . وقد انضم إلى الرابطة جماعة من الناشرين المحترمين الذين يعنون بنشر الكتب القيمة ، ووضع نظام لإخراج سلسلة من الكتب والمؤلفات الرفيعة في مختلف المواد ، وروعي أن تكون في الغالب كتباً جديدة ؛ وستقدمها الرابطة إلى القراء بأثمان تكاليفها دون أن تسعى إلى ربح ، وقد أصدرت فعلاً عدة مؤلفات نفيسة من كتب راموز ومسترال ومكسيم جوركي وتولستوى وغيرهم

جيته بطل قصة مسرحية

مثلت أخيراً في المسارح الألمانية « كوميديا » جديدة عنوانها « مقابلة مع أوليكا » بقلم الكاتب المسرحي زجموندجراف وفيها وصف لفصل غرامي من حياة جيته شاعر ألمانيا الأكبر فيبدو الشاعر على المسرح وهو في شيخوخته عاشقاً لفتاة تدعى أوليكا ليفتوف كان قد قابلها أثناء استشفائه في مدينة ماريناد ورغب في زواجها ، ولكن حالت دون رغبته ظروف خاصة ، وهي واقعة حقيقية في حياة الشاعر الكبير ، وقد لقيت القطعة من جراء ذلك نجاحاً عظيماً

جوائز قومية ألمانية لتشجيع العلوم والآداب

في العام الماضي قررت الحكومة الألمانية أن تحرم على العلماء والكتاب والفنانين الألمان قبول أية جائزة دولية أو أجنبية للعلوم أو الآداب أو الفنون ؛ وقررت من جانبها أن ترتب جوائز ألمانية قومية تمنح لأقطاب العلم والأدب الألمانيين ، وتكون في أهمية جوائز نوبل من حيث قيمتها المادية والأدبية ؛ ولذلك سبب قد يذكره القراء ، وهو أن لجنـة جامعة استوكهلم منحت في العام الماضي جائزة نوبل للسلم للكاتب الألماني كارل فون وسيتسكي ، وكان لذلك صدى سيء لدى الحكومة الألمانية لأنها تعتبر الكاتب المذكور من خصومها لأنه ديموقراطي ، وكان قبل قيام الحكومة النازية يدعو إلى السلام ونزع السلاح . فلما قام الهتلريون في الحكم قبض عليه ولبث في معتقله حتى منح جائزة نوبل للسلام ؛ واعتبر الهر هتلر أن في منحه الجائزة على هـذا النحو إساءة لألمانيا وتعريضاً بنظمها وسياستها ، فأصدر قراره بتحريم الجوائز الدولية على جميع الألمان

وقد احتفل في ٣٠ يناير الماضي ، وهو يوم ذكرى قيام الحكومة النازية في الحكم بتوزيع الجوائز القومية الألمانية لأول مرة على مستحقيها ؛ فمنحت جوائز في العلوم والآداب والفنون إلى كل من العلامة الرحالة الدكتور ولهلم فلشنر الذي عاد أخيراً من رحلته الطويلة في مجاهل آسيا الوسطى ، والدكتور روزنبرج الكاتب النازي الشهير ، والأستاذ الدكتور زاوربروخ الجراح الشهير ، والأستاذ تروست الذي توفي أخيراً ، والدكتور أوجست بير . وقد استقبل الزعيم هتلر المنعم عليهم بالجوائز في يوم ٣٠ يناير وأثنى على علمهم وعبقريتهم ، وقدم إليهم بنفسه براءات الجوائز المذكورة ، وهي عبارة عن نجمة من الماس في وسطها رمز الإلهة منيرفا ؛ هـذا عدا الهبات المالية التي سيحصل عليها الفائزون وهي كبيرة

ديوان اسماعيل صبري باشا

يسرنا أن نزف إلى قراء العربية أمنية من أعز أمانيهم طالما تاقت نفوسهم إلى تحقيقها ، وهي إعداد ديوان أستاذ الشعراء وحامل لواء الشعر الحديث المرحوم اسماعيل صبري باشا . وهذا الديوان الحافل بطرائف شعره يطبع الآن في مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بعد أن أتم حضرة الشاعر الراوية الأستاذ أحمد الزين ضبطه وشرحه وتصحيحه على أتم وجه وأحسنه. ولا شك في أن ظهور هذا الديوان الخالد يعد حادثاً أدبياً ذا بال في عالم الشعر ، فهو يحق حلقة اتصال بين الجيل الماضي والجيل الحاضر

ويحسن بنا أن نشير إلى ما كان بين الأستاذ احمد الزين وبين المرحوم صبري باشا من مودة وثيقة دامت سنين طويلة فلا عجب إذا تولى هو إخراج هذا الديوان وفاء لصديقه وقياماً بالواجب الأدبي نحو فنه . وقد وصل إلى علمنا أنه ستقام حفلة ذكرى للفقيد بعد إتمام طبع هذا الديوان ، رحم الله صبري باشا وجعل في أثره الخالد عزاء عن فقده

مذكرات لورد بيرون

تحتفل الأندية الأدبية في انجلترا وفي العالم بمضي ١٥٠ سنة على ميلاد الشاعر العظيم جورج جوردون بَيْرون المولود في سنة ١٧٨٨ والمتوفى سنة ١٨٢٤ ... وسيستفيد العالم من إحياء هذه الذكرى فائدة جليلة وذلك بما اعتزمه بعضهم من نشر مذكرات الشاعر النثرية التي كتبها بين سنتي ١٨١٩ و ١٨٢١ وهو مقيم إذ ذاك في إيطاليا والتي حال دون نشرها ما جاء فيها من تصريحات بيرون الشائنة فيما يتعلق بصلاته الغرامية والتي لا يسمح القانون الانجليزي بتداولها في أيدي الناس لكونها من المحظورات التي يتنافى ذيوعها مع الأخلاق الانجليزية المحافظة ... والمفهوم أن إذاعة هذه المذكرات سيكون بموافقة الحكومة وبعد حذف الفقرات الصريحة الصارخة التي لم يبال اللورد أن يثبتها بقلمه فيها

والمعروف من تاريخ حياة بيرون أنه نشأ نشأة مستهترة لا تعرف للعرف حرمة ولا للشرائع سلطاناً . فمن هذا أنه صبا إلى أخته وافتتن بها ، ثم اتصل بها اتصالاً يخجل القلم من تسجيله هنا ... ومن ذلك أيضاً أنه ألف جماعة خمرية كان يحتسي أفرادها الخمر من جماجم الموتى التي كانوا يسرقونها من المقابر ... ويحسب القارىء هذان المثالان عن شذوذ الشاعر العظيم الذي كان أديب الألمان جيته يعجب به ويقول فيه إنه يصدر في شعره عن أمواج البحر الدفاقة ، وينفث فيها رقة الأثير

وكان بيرون وثنياً شديد الولوع بالإغريق ... ومن هنا عبادته للجمال وترديده أسماء آلهتهم في شعره ... ومن هنا أيضاً دفاعه الحار عنهم في الحرب الاستقلالية التي لاقوا فيها الرعب من البطل المصري إبراهيم باشا ... وقد حضر بيرون حصار مسولونجي ونظم فيه إحدى غرره ، ولا ندري إن كان القائد المصري قد قابله أم لا . هذا وسنفرد له فصلاً خاصاً في عدد آخر

الأدب الكاريكاتوري

كان ظريفاً جداً هذا العمل الجليل الذي ساهم به الأستاذ توفيق الحكيم في مهرجان الأوبرا للزفاف الملكي والذي أظهر فيه أدباء العصر على خشبة المسرح في رواية تمثيلية ... ونحن نضع لهذا اللون من الأدب اسماً فندعوه الأدب الكاريكاتوري ، وهو غير الأدب الهزلي أو (الكوميدي) . وقد وضع أساس الأدب الكاريكاتوري الشاعر اليوناني أرسطوفان منذ أربعة وعشرين قرناً ، وكان يتناول في (كاريكاتورياته) شخصيات عصره والعصر الذي سبق بالنقد والتسفيه و (التضحيك) . وخص الشاعر يوريبيدز بكثير من هذه (الكاريكاتوريات) ؛ ولم يستطع مع ذلك أن يقلل من قيمة مواطنه العظيم أو أن يخفض من قدره . وقد ألف شاعرنا الخالد أبو العلاء كتابه (رسالة الغفران) على هذا النحو ، فطاف بصاحبه ابن القارح في المحشر وفي دركات جهنم ... وفي جنات عدن ... وفعل مثل ذلك دانتي الليجيري في الكوميديا الإلهية

وقد كتب الأديب الكبير ولز آخر قصصه على النمط الكاريكاتوري . وقد صدرت هذه القصة في يناير الماضي واسمها (الأخوة) وهي نقد لاذع لطغاة العصر الحاضر وفي مقدمتهم هتلر وموسوليني وستالين ، وبالطبع قد أطلق أسماء غير هذه على أبطاله

الإذاعة المدرسية في مصر وفي انجلترا

في الوقت الذي تنطق فيه حماستنا في مصر للإذاعة المدرسية لنشتغل بالسفاسف السياسية التي استغرقت كل جهودنا ترتفع النسبة المئوية لهذه الإذاعة في إنجلترا وبلاد الغال (ويلز) فتزيد ٢٧ ٪ في خريف ١٩٣٧ على ما كانت عليه في خريف ١٩٣٦ ، ويرتفع عدد المدارس التي تنتفع بهذه الإذاعة هنالك فتصبح (٧٢٨٠) مدرسة بين ابتدائية وثانوية . ويشجع هذا النجاح المطرد ولاة الأمور هنا فيفكرون في الوسيلة التي ينشرون بها الاذاعة في المدارس التحضيرية ورياض الأطفال ؛ وقد انتفعت بطبيعة الحال مدارس اسكتلنده بهذه الاذاعة وإن لم يكلفها ذلك شيئاً . ويقدرون هذه المدارس الاسكتلندية بألف مدرسة أو زهائه . وكانت الموضوعات الطريفة التي ألقيت كثيرة متنوعة ، ولكن التلاميذ كانوا يصغون في الأكثر لموضوعات الأسفار والرحلة في البلدان الأجنبية ، ثم تلي هذه الموضوعات المتعلقة بدراسة غرائب الطبيعة ؛ وقد اجتمع للتلاميذ الانجليز عاملان هامان في تثقيفهم الحديث ، وذان هما التعليم بالسينما والتهذيب بالاذاعة المدرسية ، وليس من هذا شيء عندنا

الطيران والخرائط الجغرافية

معظم الخرائط الجغرافية التي بأيدينا قديم غير مضبوط ، ويرجع وضعه على هذا النحو الذي نراه إلى مائة سنة على الأقل وقد أخذت صور لنهر النيل مثلاً من الجو أظهرت ما في خرائطنا القديمة البالية من الأخطاء الفاحشة التي لم يعد يخلق بنا أن نغضي عنها . وقد تنبهت لهذا أكثر الدول الأوروبية ولا سيما ألمانيا ، فعملت على تلافيه ، وساعدها تقدم الطيران وانتشاره عندها على وضع خرائط متقنة تداركت بها ما فشا في خرائطها القديمة من أخطاء . ويقال إن في النية عقد مؤتمر عالمي لدراسة هذا الموضوع ولوضع خرائط جديدة للعالم بأسره من الجو . وحبذا لو تم هذا المشروع

مسرح روسي عجيب

من أنباء روسيا أن المخرج العظيم ماير هولد قد عصفت به ريح السياسة العاتية .. وأن مسرحه الكبير قد أغلق .. ويذيع الشيوعيون أن ماير هولد قد وقع في فضيحة لم يذكروا لنا ماهي وهكذا تلطخ الشيوعية مجد الأبطال الروسيين الذين أدوا لأوطانهم وللعالم أجل الخدمات ... ومن هذه الأنباء أيضاً أن مخرجاً جديداً يدعى أوخلوبكوف قد أسس على أنقاض مسرح ماير هولد مسرحاً غريباً لم يؤسسه على ما عرفه العالم من النظام الشائع لدور التمثيل ، إذ يدخل المُشاهد صالة المسرح فلا يرى ستاراً وينظر هنا وهناك فلا يجد خشبة المسرح التي تمثل فوقها الرواية ... وأغرب من هذا أنه يجد الكراسي غير مصفوفة في اتجاه خاص يدل على مكان المسرح ... فاذا آن أوان التمثيل وجد الممثلين معه في الصالة ، ووجدهم في الشرفات (البناوير) ووجدهم في كل مكان ... حتى في السقف ... ويقولون إن الروايات التي تمثل ثَمَّ موضوعة خصيصاً لهذا المسرح ، لتتفق وهذه الطريقة العجيبة من طرق الاخراج ... ويبدو أن الروايات الأجنبية ، بل الروسية نفسها ، التي لم تؤلف لتؤدى على هذا النمط الحديث من فن الاخراج ، تسقط سقوطاً فاحشاً حين تؤدى فيه . وقد كتب أحد النقاد الألمان فصلاً مضحكاً عما شاهده في هذا المسرح ، وكان قد حضر تمثيل روايات حنة كرنينا لتولوستوى وحديقة الكرز لأنطون تشيخوف ودرامة عطيل ... فسمى ما شاهده من تمثيلها (تهريجاً شيوعياً ! !)



إلى حياة روحية

٢ - في منزل الوحي

بقلم الدكتور محمد حسين هيكل بك

للأديب محمد فهمي عبد اللطيف

إلى حياة روحية تسمو بالنفس ، وتضيء القلب ، وتهذب العواطف ، وتحد من النزعات والأهواء ، وتصل أسبابنا بالسماء .. هذا هو ما يدعو إليه هيكل ويحبذه ، بعد أن شهد ما شهد من مظاهر الحياة الروحية في آثار النبي العربي ، ورأى كيف يفعل الإيمان الأعاجيب في مواطن لولاه ما كان للإنسان بها طاقة ؛ ويعجب هيكل من الذين ينكرون الحيـاة الروحية ويتنكبون طريقها ، ويسأل في تعجب واستنكار فيقول : « فما بال قوم في عصور وبلاد مختلفة جحدوا الحياة الروحية وكفروا بفضـل الإيمان ؟! » ثم يمضي هيكل ينعى على الماديين هذا الجحود لتلك الحياة ، ويرده إلى خطأهم في فهم الحياة الروحية على حقيقتها ، وتصورهم لها تصوراً بعيداً عن الفهم والواقع ، فهم يحسبونها خارجة على نطاق العقل ، لا تخضع لقوانين العلم في تعليل الظواهر والمظاهر ، مع أن سبيل الحياة الروحية الصميمة إنما هو الاحاطة بالعلم في أحدث ما وصل إليه ، واتخاذه وسيلة للنظر في آيات الله وهي لا تنكر العقل إلا إذا قيد النظر وقُيد العقل معه ، ومن ثم كان الجمود عدواً للحياة الروحية ، ثم يلمع هيكل إلى الغاية من الحياة الروحية وصلتها بالنفوس فيقول : « والناس يستجيبون بطبيعتهم إلى الدعوة الروحية لأنهم يبتغون الحق بفطرتهم ، ولولا ما يعد لهم فيه دعاة المادة من أسباب الضـلال إذ يغزونهم بمتع الحياة ولذاتها لانهارت فوارق كثيرة ليس يبقيها إلا هذا الضلال ولتقاربت الأمم بدل أن تتباعد ، ولأخلصت القصد في سعيها إلى السلام بدل أن تجعل من نذر الحرب هيا كل عبادتها ، ولكانت خطا الإنسانية في سبيل التقدم ناحية الكمال أسرع وأهدى سبيلاً ، ولو أن الناس لم يتنـكبوا طريق الهدى لنعموا اليوم بما يلتمسونه من سعادة ، ولعلهم تنـكبوا هذا الطريق لأنهم بعد في جهالتهم ، ولأن ما بلغوا من العلم لا يزال قاصراً دون هداهم والعلم الناقص داعية الضلال ! »(١)

وهيـكل إذ يقول : « إن الناس يستجيبون بطبيعتهم إلى الحياة الروحية لأنهم يبتغون الحق بفطرتهم » يقرر حقيقة قد قررها الدين ، وجاء بها الاسلام ، ففي القرآن الـكريم « فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها » وفي الحديث الشريف « كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه » ، وهيـكل إذ يرى أنه لولا ما يعده دعاة المادة من أسباب الضلال ، لانهارت فوارق كثيرة ولتقاربت الأمم بدل أن تتباعد . إنمـا يرى حقيقة لا تنـكر ، بل إنها حقيقة يقررها كثير من أهل الفكر والثقافة ، ويرونها الملجأ الذي سيلجأ إليه العالم بعد أن يضنيه وينهكه ذلك النضال المادي العنيف ، ولقد كان من حسن التوافق أن أقرأ هذا الـكلام لهيكل وقد وافتني جريدة الأهرام وفيها نبأ من لندن يقول : إن اجتماعاً عقد في « هيكل » العاصمة تحت رعاية جمعية الأديان المتعددة ، وقد أوضحت السيدة الناطقة باسم هذه الجمعية أن غرضها إيجاد وحدة عالمية بواسطة التفاهم الروحي

وقد تـكلم إمام جامع ووكنج فقال : « إن الوقت قد حان لجميع الأديان كي تدفن أحقادها ، وتتحد على مقاومة موجة الـكفر المتعالية ، والتمسك بالأمور المادية في العالم وإهمال الأمور الروحية ، وقال : إن جميع الأديان تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، فهي تشترك في وحدة أساسية ، وهي تتفق على الايمان بوجود الله وعلى تجلي الله للانسانية ، فيجب علينا إذن أن نتفاهم وليطمئن هيكل وليطمئن إمام جامع ووكنج . فان ذلك الحلم

(١) ص ٦٣٦ من الـكتاب

اللذيذ لا بد أن يتحقق ، لا أقول سيحققه فرد من الأفراد أو جماعة من الجماعة ، وإنما أقول سيحققه الزمن بسننه وطبيعته وأفاعيله ، وغداً سنرى وإن كنت لا أعلم متى يكون ذلك الغد أفي القريب أم في البعيد ، ولكني لست مع الدكتور هيكل إذ يعلل جحود الماديين للحياة الروحية بالجهل ونقص العلم ، فان في الماديين الجاحدين أساطين العلم ، ومن هم في الذروة التي لا تطاول عقلاً وثقافة ، وإنما يرجع هذا الجحود على ما نرى إلى اعتقاد يقوم في أذهان أولئك الناس ، وهو أن العقل كل شيء في الحياة ، لا قول إلا قوله ، ولا منطق إلا منطقه ، فمن الواجب أن نخضع لمنطقه كل ما نرى من المظاهر والظواهر ، حتى ما يتصل بميولنا وعواطفنا ، وفاتهم أن هناك القلب ، يجب أن نجعل له اعتباراً كبيراً في شؤون الحياة ، إلى جانب العقل ، ويجب أن نعتقد بأن له منطقاً كمنطق العقل إن لم يكن أجل وأدق ، وهو وحده الذي يشعرنا في رحلة الحياة الشاقة ببرد الراحة ، ويقع من نفوسنا اللاغبة موقع الماء العذب من نفس الصادي في البهماء القاحلة ، ولا شك أننا لو طاوعنا هؤلاء الناس وجعلنا العقل كل شيء لصارت الحياة جحيما لا تطاق ، ولفررنا من شقائها كما يفر الناس في هذه الأيام بالموت والانتحار ، بل ولتمردنا على كثير من النظم والأوضاع والشرائع الطيبة الصالحة التي تكفل السعادة للمجتمع ، والتي لا يمكن أن يجحدها الماديون أنفسهم ، وأنت أبقاك الله تأمل في نفسك ساعة وانظر فيما يحف بك من النظم الاجتماعية والقيود الثقيلة التي تربطك بالمجتمع الذي تعيش فيه ، والسلاسل والأغلال التي تثقل جيدك وتنقض ظهرك من واجبات نحو الأسرة والأب والأم والزوجة والوطن والدين والتقاليد وفكرات الشرف والعرض وما إلى ذلك ، واستسلم إلى العقل وحده وانزل على حكمه في تلك الأمور عامتها تجده يجيبك عليها جوابا لا يرضاه العقل نفسه ، لأن الطبيعة قد خصت الإنسان بشيء يمتلك ناصية عقله ويتحكم فيه التحكم كله ، شيء آت من الناحية الروحية القلبية التي هي مصدر العواطف والمشاعر والتي هي مسيطرة عليها ، وإذن فالعقل ليس كل شيء في الحياة كما يزعم الماديون ، وعبثاً حاول بعض الفلاسفة أن يجعلوا العقل حد الدين ، وأن يشرعوا للناس المذاهب الفلسفية النفعية ، فنشروا كتباً « في دين الطبيعة » لتأييد مذهبهم ، وموهوا على الناس إذ زعموا أن العلم ينافي الدين ، فوقع الإنسان في مأزق من مآزق البعد عن الشريعة الأدبية كاد يتداعى معه أساس المدنية ، حاول هؤلاء أن يجدوا في عقل الإنسان وحده هادياً ومرشداً أميناً بصفته فرداً صالحاً من مجموع إنساني ، يختط له خطة من السلوك والأخلاق جديرة بأن تحفظ نظام الهيئة البشرية التي يجب أن تقوم على أساس من الإحساس الأدبي ، أخفقوا سعياً وضلوا سبيلا ، لأن الطبيعة لم تحب الإنسان بشيء من هذا . رجع الناس بعد ذلك مؤمنين بأن وازع ما بعد العقلية ، أول عنصر من عناصر المعتقد الديني بل نواته ، وأنه الضابط الذي يضبط علاقة الفرد بالجماعة في كل حالة من الحالات[1]

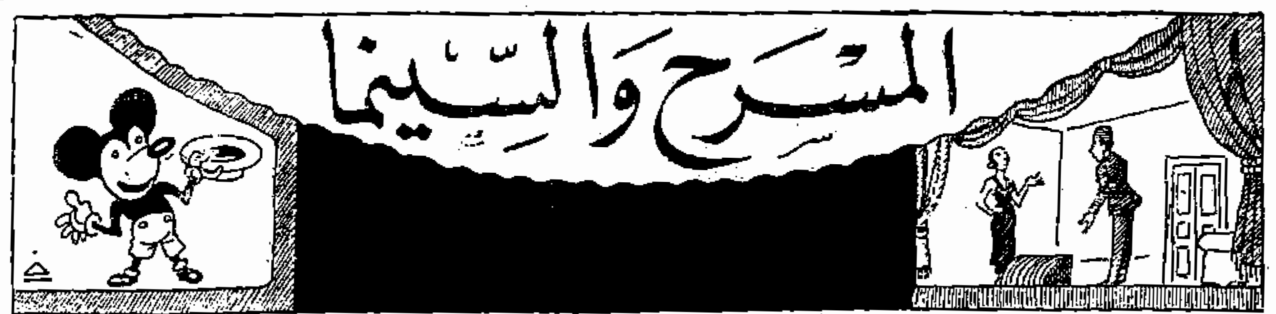
ولكن أي لون من ألوان هذه الحياة الروحية يجب أن يختار الشرق حتى يفوز بالغاية ؟ !

يرى بعض المفكرين في مصر أن لون الحياة الغربية هو اللون الصالح ، فراحوا ينقلون للشرق آثار الغرب في ذلك ما وسعهم النقل ؛ وقد كان هيكل على هذا الرأي من قبل ، ولكنه خرج عليه إذ لمس فيه الخطأ الواضح ، وهو يتحدث عن ذلك فيقول : « لقد خيل إلى زمناً — كما لا يزال يخيل إلى أصحابي — أن نقل حياة الغرب العقلية والروحية سبيلنا إلى النهوض ، وما أزال أشارك أصحابي في أنا ما نزال في حاجة إلى أن ننقل من حياة الغرب العقلية كل ما نستطيع نقله ، لكني أصبحت أخالفهم في أمر الحياة الروحية ، وأرى أن ما في الغرب منها غير صالح لأن ننقله ، لأن تاريخنا الروحي غير تاريخ الغرب ، وثقافتنا الروحية غير ثقافته » وبعد أن يكشف عن وجه الفرق في ذلك يدل على اللون الصالح للشرق من الحياة الروحية ، وهو في كلامه يتحدث عن خبرة وتجربة فيقول : وقد حاولت أن أنقل لأبناء لغتي ثقافة الغرب المعنوية والروحية لنتخذها هدى ونبراساً ، لكنني أدركت بعد لأي أنني أضع البذر في غير منبته ، ورأيت أن تاريخنا الإسلامي هو وحده البذر الذي ينبت ويثمر ، ففيه حياة تحرك النفوس وتجعلها تهتز وتربو ، ولأبناء الشرق في هذا الجيل نفوس قوية خصبة تنمو فيها الفكرة الصالحة لتؤتي ثمرها بعد حين

وهذا كلام أصاب فيه هيكل شاكلة الصواب ، وشرحه شرحاً وافياً كافياً في منزل الوحي ، فجاء كتابه صفحة روحية مشرقة ، وفكرة صالحة يجب أن يطالعها أبناء الشرق لتنمو في نفوسهم ، فتؤتي ثمرها الطيب

محمد فهمي عبد اللطيف

(١) بين الدين والعلم ص ١٢ ترجمة اسماعيل مظهر



فى النقد

١ — يحيا الحب
٢ — جارى كوبر فى نيويورك
٣ — مدخل الممثلين STAGE DOOR

بقلم محمد على ناصف

يحيا الحب

قصة هـذا الفلم من النوع الهكوميدى الشائع الآن فى الأفلام الأمريكية Light Comedy . وكثيراً ما تكون موضوعات هـذه الأفلام تافهة ، غير أنها تعوض هذا النقص بجمال الحوار وتمدد المفاجآت المبتكرة وبراعـة التمثيل وحسن الاخراج. وقد جاء كذلك «يحيا الحب» من حيث فراغ الموضوع ... فلننظر إلى نواحى الفلم الأخرى

كان الحوار ركيك الأسلوب خالياً من النكتة والمفاجأة القوية . وقد أثر هذا الضعف فى عمل المؤلف ، وفى عمل الممثل ، وفى عمل المخرج

فمن ناحية التأليف رأينا البرتقال يجنى فى الصيف ، وموظفاً لا يعرف رئيسُـه أصلَه حتى ولا من شهادة الميلاد

ومن ناحية التمثيل رأينا إحدى الشخصيات خليطاً بين أستاذ فى العلوم ومهرج

وليس أدعى إلى إفساد عمل المخرج من أن يتمهد موضوعاً عادى التأليف ضعيف السيناريو مضطرب الشخصيات

ومآخذ الاخراج كثيرة فى « يحيا الحب » أهمها فى رأيى خلو الفيلم من الحركة

ولقد ذكرت أن قصة الفيلم من النوع الكوميدى ولكنها لم تعالج على هذا الأساس فى كثير من الأحايين ، لم يعالجها كريم فى مشهد ذلك الحلم المبدد ، ولم يعالجها راى فى أغانيه ، ولم يعالجها عبد الوهاب فى ألحانه وتمثيله ، وأحسب أن مشهد تكسير العود مثلا كان من المستطاع أن يكون من أجمل المشاهد الكوميدية لولا أنهم أخرجوه كأنه مشهد بطل مصروع أو مدينة مخربة

والفلم على وجه عام فقير من ناحية التمثيل إذا استثنينا شخصية رضوان باشا التى مثلها عبـد الوارث عسر ، ولولا اضطراب شخصية مجاهد بك (أستاذ العلوم) لاعتبر أمين وهبه من المجيدين ، ولم يكن عبد القدوس فى أحسن حالاته

ولقد حاول عبد الوهاب كثيراً ولكنه لا يزال فى حاجة إلى محاولات أخرى ليبدو ممثلاً ، ولم يكن مستحسناً ظهوره تارة بالنظارة وأخرى بدونها . وما يقال عن عبد الوهاب من



عبد الوارث عسر ممثلا « رضوان باشا » فى « يحيا الحب »

التمثيل يمكن قوله عن ليلى مراد ، ولو أن هذا أول أفلامها .
وتمتاز ليلى بوجه حسن وعود رشيق يصلحان للشاشة ، وصوتها كذلك لا شك فى جماله .

وأصلح ألحان الفلم كانت فى الموسيقى المصاحبة للشريط وهى من وضع عزيز صادق

أما أغانى الفلم فإذا استثنينا أغنية « يا وابور قولى رايح على فين » وأغنية أخرى على الأكثر ، فإن الأغانى الباقية غير مناسبة لطبيعة الفيلم ، وقد ماثلها الألحان كذلك فكانت مليئة باللوعة والتأسى والتفجع

والتصوير فى « يحيا الحب » جميل أحياناً ، وأحياناً أخرى على النقيض

وما نرجوه لأفلام عبدالوهاب هو أن نحس بتطورها من حسن إلى أحسن وقد أصبحت شركة قديمة غنية جديرة بالاهتمام والمحاسبة

جارى كوبر فى نيويورك

Mr Deeds Goes So Sown لشركة كولومبيا من أحسن أفلام الموسم الماضى ، وقد نال عنه مخرجه فرانك كابرا الجائزة الذهبية من أكاديمية الصور والفنون ؛ وكانت جمهرة النقاد لا تشك فى أن جائزة التمثيل من حق جارى كوبر لدوره فى هذا الفيلم لو لم تذهب إلى بول ميونى فى « حياة لويس باستير » ، ولا يفضل عمل المخرج أو الممثل فى هذا الفيلم عمل كاتبه الفذ روبرت ريسكين فالفيلم متعدد نواحى العظمة ؛ ولذلك كان استدو مصر موفقاً فى اختياره لعمل « دوبلاج » ينطقه بالعربية



فرانك كابرا
مخرج « جارى كوبر فى نيويورك »

وهذه فكرة طريفة قد تلاقى نجاحاً من الناحية المادية وخاصة وهى فى بداءتها ، ولكنى أحسب أن التقدير يختلف من الناحية الفنية ، وخاصة إذا كان الفيلم قريباً من درجة الكمال كالذى نحن بصدده ؛ فلو أن النقاد الذين حكموا له بالتفوق شهدوه كما يعرض الآن لتغير حتما رأيهم ؛ فجارى كوبر قد فقد جزءاً كبيراً من شخصيته بفقدان صوته مقابل صوت خال من التأثير وقوة التعبير ؛ وروبرت ريسكين قد انحط أسلوبه وفترت نكتته ؛ وفرانك كابرا قد أثرت هذه العوامل على مجهوده الكبير فقل شأنه

وقد يكون عمل الأستدو أقرب إلى الإجادة لو أنه بذل عناية أكبر بلغة الحوار وبتخير أصوات تلائم شخصيات الفيلم وتمايز بعض أصواتها عن بعض ، إذ أنه رغم تشابه الأصوات فى الفيلم فإن أكثر من شخصية واحدة قد أنطقت بصوت واحد ، وهذا اضطراب كان تلافيه من البدهيات



كاترين هيبورن
الممثلة الأولى فى « مدخل الممثلين »

مدخل الممثلين

شهدنا منذ أسابيع قليلة فيلم Astar Es Barn وهو أول فيلم يمثل مدينة السينما على حقيقتها . وقد لقى بهذه الصفة — فضلاً عن استكمال صفات الفيلم الأخرى — نجاحاً مدوياً بأمريكا وأوروبا وقد أعقبه فيلم Stage Door عن حياة المسرح فصادف نفس النجاح إن لم يفقه فى قوة الإخراج وجمال السيناريو

وهو منقول عن مسرحية ناجحة لأدنا فيربر وجورج كوفمان مثلت طويلاً على مسارح برودواى . وأعدها للسينما مورى ريسكيند وأنتونى فيلر وأخرجها لشركة راديو جريجورى لاكافا الذى لا تزال تذكر له « رجلى جودفرى » My Man Godfrey

وقد بلغ كل من لغة الحوار والتمثيل والاخراج فى هذا الفيلم مستوى رفيعاً سيظل أثره ماثلا فى أذهاننا طويلا

محمد على ناصف

طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المهدى رقم ٧